

ڪامل ڪيراني

قصص شڪسپير



يوليوس قيصر

DUDARAB



دارالمعارف

کامل کیلانی

قصص شکسپیر

یولیوس قیصر

الطبعة الخامسة عشرة



دار المعارف

مقدمة

أيها القارئ الصغير :

هذه هي القصة الثالثة من قصص « شكير » التي وعدتكم باقتباسها (أخذ خلاصتها) وتقديمها إليكم .

وقد دأبت على خطتي (سرتُ على طريقي) معك في العناية باختيار أحسن القصص ، وأكثرها روعةً وجمالاً . كما دأبت على الرواية والتمهل والتدبر في صوغها وتنسيقها . وكلّي ثقة في أن تجري معي على سجيّتك (طيعتك) في إيمان الفكر وتذيق النظر فيما تقرأ ، وإطالة الرواية في فهم ما أقمه عليك .

وهذه القصة - كسابقتها - تشرح لك من دقائق الحياة ، وأسرار النفوس ما أنت في أشد الحاجة إلى تعرفه ، لتستبصر لك السبيل ؛ فتمشي على هدى .

ولن تجد في هذه القصة التاريخة المعجبة إلا ما يروحك ويفيتك ؛ إذ تمثل لك فيها : عاقبة الحسد ، ومغيبه الحقد ،

وَأَخِرُهُ الْمَدْر . وَسَرَى : كَيْفَ تَنْتَعِي هَذِهِ الْخِلَالُ بِالْوَالِ عَلَى
أَصْحَابِهَا ، وَتَنْزِلُهُمْ - مِنْ أَسْمَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ - إِلَى أَحَطِّ دَرَكَاتِ
الْمَهَانَةِ وَالشَّقَاءِ ، وَأَسْفَلَ مَنَازِلِ الْهَوَانِ وَالذُّلِّ .

...

سَرَى مُصَدِّقٌ هَذَا (تَلَمَّسُ الدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِهِ) ، وَتَعْرِفُ
كَيْفَ يَنْقَصِرُ الْحَقُّ - آخِرَ الْأَمْرِ - وَيَخْفُقُ عِلْمُهُ (تَهْتَزُّ رَأْيَتُهُ) ،
ثُمَّ يَلْقَى الْأَثِيمُونَ مَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الْعِقَابِ وَالتَّنْكِيلِ ، جَزَاءً
وِفَاقًا لِمَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ إِنْهُمْ ، وَازْتَكَبُوهُ مِنْ عُذْوَانٍ .

...

وَهَئَانَا أَنْزَلْنَا الْحَدِيثَ ١ « شَكِيرٌ » : فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ يُحَدِّثُكَ
أَطْيَبَ الْحَدِيثِ ، وَأَقْدَرُ مِنْ يَقْصُ عَلَيْكَ أَبَدَعَ الْقَصَصِ (١) .

كامل كيردوف

الفصل الأول

١ - فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ قَبْلَ الْبَلَادِ بِأَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ
سَنَةً ، فِي شَهْرِ مَارِسَ . أَعْنَى : أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ وَلَادَتِكَ - أَيُّهَا الْقَارِئُ
الصَّغِيرُ - بِالْقُرْبِ عَامٍ إِلَّا قَلِيلًا . نَسْأَلُكَ : فِي أَيِّ مَكَانٍ وَقَعَتْ
تِلْكَ الْحَوَادِثُ الْغَرِيبَةُ الَّتِي أَقْصَاهَا عَلَيْكَ ؟
فَاعْلَمْ - عَلِمْتَ الْخَيْرَ - أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي مَدِينَةِ « رُومَةَ » عَاصِمَةِ
إِيطَالِيَا ، وَمَهْمَدِ حَضَارَةِ الرُّومَانِ (الْمَوْضِعِ الَّذِي نَشَأَتْ فِيهِ) .

٢ - بَهْجَةُ الْعِيدَيْنِ

وَكَانَتْ مَدِينَةُ « رُومَةَ » - فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - تَسْتَقْبِلُ عِيدَيْنِ ،
وَبَتَّبَعَتْهُمَا لِنِسَابَتَيْنِ . أَوَّلَاهُمَا : عِيدُ عَالَمٍ ، تَحْتَفِلُ فِيهِ الْبِلَادُ فِي مِثْلِ
ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ ، وَيَتَبَارَى فِيهِ السَّاقُونَ وَالْمَدَّاءُونَ
(الْجَارُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ) وَمَنْ إِلَيْهِمْ . وَالثَّانِيَةُ : عِيدُ خَاصٍّ ،

أَتَاخَتْهُ فُرْصَةٌ بِعَيْنِهَا، تِلْكَ هِيَ أَنَّ «يُولْيُوسَ قَيْصَرَ» - بَطَلْ
هَذِهِ الْقِصَّةِ الثَّاقِفَةَ الْمُنْجِيَّةَ، وَزَعِيمَ الرُّومَانِ الْأَوْحَدَ - عَادَ
إِلَى وَطَنِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُنْتَصِرًا عَلَى أَعْدَائِهِ، بَعْدَ أَنْ حَارَبَهُمْ،
وَشَتَّتَ جُيُوشَهُمْ، وَشَرَّدَ جُيُوشَهُمْ كُلَّ تَشْرِيدٍ، وَنَكَّلَ بِهِمْ أَشَدَّ
تَكْلِيلٍ، وَأَنْزَلَ بِهِمُ الْمَصَائِبَ وَالنَّكَبَاتِ الْقَاوِحَةَ.

٣ - خُصُومُ «قَيْصَرَ»

وَكَانَتْ جَمَهَرَةُ الْبِلَادِ، وَسَوَادُ الشَّعْبِ، يَسْتَقْبِلُونَ هَذَيْنِ
الْمَعْدِنَيْنِ فَرِحِينَ مَسْرُورِينَ؛ فَرَفَعُوا الْأَعْلَامَ، وَزَيَّنُوا الْمَدِينَةَ
بِطَاقَاتِ الْأَزْهَارِ وَالرَّيَاحِينَ، وَانْتَشَرُوا فِي الطَّرِيقَاتِ؛ فَخَصَّتْ بِجُمُوعِهِمْ
الْمِيَادِينَ - عَلَى رُحْبِهَا - وَافْتَلَأَتْ حَتَّى ضَاقتْ بُوُفُودُ الْمُسْتَقْبِلِينَ
الْمُنْتَهَجِينَ. وَلَمْ يَشُدَّ عَنْهُمْ - فِي هَذَا الْفَرَحِ الشَّامِلِ - إِلَّا فِتْنَةٌ
قَلِيلُونَ مِنْ حُسَادِ «قَيْصَرَ» وَمُنَافِسِهِ، إِذْ كَانُوا لَا يُطِيقُونَ أَنْ
يَسْمَعُوا بِانْتِصَارِهِ، وَلَا تَقَرُّ قُلُوبُهُمْ الْوَضِيعَةَ (لَا تَقْطَعِينَ وَلَا تَهْدَأْنَ)
إِلَّا بِانْكِسَارِهِ وَانْدِحَارِهِ!

وَمَا عَرَفَ هَؤُلَاءِ الْحُسَادُ مَوْعِدَ قُدُومِ «قَيْصَرَ» الْمُنْتَصِرِ،
حَتَّى اشْتَعَلَتْ بِالْحَسَدِ قُلُوبُهُمْ، وَاضْطَرَمَّتْ بِالْغَيْظِ قُلُوبُهُمْ
(الْتَهَبَتْ)، وَوَدَّوْا لَوْ قَدَرُوا عَلَى أَنْ يُبَدِّلُوا بِهَذَا الصَّفْوِ كَدْرًا،
وَيَحُولُوا هَذِهِ الْأَغْرَاسَ الْمُقْوَدَةَ (الْمُهَيَّأَةَ الْمَنْصُوبَةَ) إِلَى
مَاتَمٍ وَمَنَاحٍ.

٤ - الْأَحْسَادُ

وَاشْتَدَّ الْحَقْدُ وَالغَيْظُ بِرَجُلَيْنِ مِنْ خُصُومِ «قَيْصَرَ»، فَأَعْيَاهُمَا
عَنْ سَبِيلِ الرُّشْدِ، وَطَوَّحَا بِهِمَا فِي هَاوِيَةٍ مِنَ الضَّلَالِ وَالغَى!
وَكَانَ اسْمُهُمَا أَوَّلُهُمَا: «فَلْقْيَاسُ»، وَاسْمُ الْآخَرِ: «مَرْلَاسُ».
فَخَرَجَا يَغْتَرِضَانِ الْجُمُوعَ الْمُتَدَفِّقَةَ الْمُتَدَفِّعَةَ مِنَ النَّاسِ، لِيَصُدَّاهُمُ
عَنْ مَظَاهِرَانِهِمْ، وَيَمْنَعَاهُمُ مِنْ لِقَائِهِمْ لِـ «قَيْصَرَ».
فَصَاحَ أَوَّلُهُمَا فِي أَحَدِ الْجُمُوعِ:

«عَلَامَ تَتَجَمَّعُونَ؟ وَلِمَاذَا تَمْرُحُونَ؟ وَلِأَيِّ دَاعِيَةٍ تَرَكَتُمْ
أَعْمَالَكُمْ، وَانْصَرَفْتُمْ إِلَى الْبَطَالَةِ وَاللَّهْوِ؟»

٥ - جَوَابُ التَّجَارِ

وَكَانَ عَلَى رَأْسِ جُمُوعِ النَّاسِ قَائِدَانِ . فَالْتَفَتَ إِلَى أَحَدِهِمَا
« مَرَلَّاسُ » - أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ : عَدُوِّي « قَيْصَرَ » - وَقَالَ لَهُ :
« مَا صِنَاعَتُكَ ، أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟ »



فَقَالَ لَهُ : « أَنَا - يَا سَيِّدِي - تَجَّارٌ . »

فَصَاحَ فِيهِ « مَرَلَّاسُ » :

« كَيْفَ هَجَرْتَ عَمَلَكَ ؟ وَلِمَاذَا ارْتَدَيْتَ أَفْخَرَ نِيَابِكَ ؟ أَلَا قُبْحًا
لَكَ وَتَعْسًا (شَقَاءٌ وَهَلَاكًا) . »

٦ - جَوَابُ الْإِسْكَافِ

ثُمَّ التَفَتَ « مَرَلَّاسُ » إِلَى الْقَائِدِ الْآخَرِ ، وَسَأَلَهُ مُضْطَبًّا :
« وَأَنْتَ : مَا شَأْنُكَ ؟ وَأَيَّ حِرْفَةٍ تَحْرِفُ ؟ »

فَقَالَ لَهُ : « أَنَا إِسْكَافٌ ، يَا سَيِّدِي . . أَرْقُعُ النِّعَالَ الْقَدِيمَةَ ،
وَأُصْلِحُهَا ، كَمَا يُصْلِحُ الطَّيِّبُ الْأَجْسَامَ الْمَرِيضَةَ . فَأَنَا أَشْفِي
النِّعَالَ مِنَ الْهَلَاكِ ، وَأَرُدُّ إِلَيْهَا الْحَيَاةَ ثَانِيَةً ! ! ! »

فَقَالَ لَهُ « فلفياسُ » - زَمِيلُ « مَرَلَّاسِ » - مُنْتَظًا :

« وَمَا بَالُكَ تَزْعِمُ عَلَى هَذَا الْجَمْعِ الْحَاشِدِ (تَجْمَلُ نَفْسَكَ
زَعِيمًا عَلَيْهِ) ، وَتَطْلُفُ بِهِ فِي الطَّرَقَاتِ وَالْمِيَادِينِ ؟ »

فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَافُ مُجِيبًا : « لِأَنَّ فِي ذَلِكَ فَائِدَتَيْنِ :

الْأُولَى : أَنَّ أَتْبَنِي نِعَالَ الْمَتَجَمِّعِينَ : فَيُضْطَرُّوا إِلَى إِصْلَاحِهَا
عِنْدِي ؛ فَكَسِبَ بِذَلِكَ مَالًا . وَالثَّانِيَّةُ : أَنَّ أَطْفَرَ بَرُوْدِيَّةَ « قَيْصَرَ »
الْمُنْتَصِرِ الْمُخْبُوبِ ، وَأَمَلًا نَاطِرِيَّ بَوَجهِ الْمَشْرِقِ الْوَسَّاحِ . . »
فَصَاحَ فِيهِ « مَرَلَّاسُ » حَاقِقًا (غَاضِبًا) : « وَأَيُّ انْتِصَارٍ أَخْرَزَهُ

« قَبِصَر » ؟ وَأَيُّ غُثْمٍ نَالَهُ ؟ وَأَيُّ فَائِدَةٍ عَادَ بِهَا إِلَى بِلَادِهِ ؟

٧ - خطاب « مَرْلَاس »

ثُمَّ وَقَفَ يَخْطُبُ الْجُمْهُورَ مُهْتَاجًا غَضِيبًا :
« الْوَيْلُ لَكُمْ ، أَيُّهَا الْقَوْمُ ! أَنْتُمْ حَاوَيْتُمْ وَاهْتَمَمْتُمْ
- مِنْ قَبْلُ - بِخُصُومٍ « قَبِصَر » ؟ أَلَمْ تَهْتَفُوا - قَبْلَ الْيَوْمِ -
لِقَائِدِكُمْ وَزَعِيمِكُمْ « بُنْي » ؟ أَلَمْ تَمْلِكُوا لَهُ الْجَوَّ بِصِيَاغِكُمْ
فَرِحِينَ مُهَلِّينَ ؟ أَلَمْ تُقَمِّمْ قُلُوبَكُمْ غَيْطَةً وَسُرُورًا ، بِانْتِصَارِهِ
وَفَوْزِهِ عَلَى أَعْدَاءِ الْوُطَنِ ؟ فَمَا بِالْكُمْ تَجْتَمِعُونَ - الْيَوْمَ - لِحُجُوبِ
خَصْمِهِ ؟ مَا بِالْكُمْ تَبْتَهِجُونَ بِانْتِصَارِ « قَبِصَر » عَلَيْهِ ؟ أَلَا مَا كُنْ
أَجْدَرَكُمْ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، بَدَلًا مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ !

عُودُوا أَذْرَاجَكُمْ (ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ) ، وَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِكُمْ ،
وَادْهَبُوا - سِرَاعًا - إِلَى ضِفَّةِ نَهْرِ « التَّيْر » ، فَادْرِفُوا فِي مِيَاهِهِ
عَبْرَاتِكُمْ ، وَأَسْلِبُوا دُمُوعَكُمْ ، ثُمَّ ارْجِعُوا وَاجْمِعُوا أَصْحَابَكُمْ ،
وَاقِمُوا الْمُنَاحَاتِ مَكَانَ الْأَغْرَاسِ !

٨ - عقابُ الحاسِدِينَ

وَلَمْ يَكْتَفِ « مَرْلَاس » وَصَاحِبُهُ بِشَقِيصَةِ هَذَا الْجَمْعِ ، بَلْ
أَمْعَنَا فِي الْكَيْدِ ، وَرَاحَا يَرْفَعَانِ الْأَزْهَارَ وَالرَّيَاحِينَ مِنْ أَمَاكِئِهَا ،
وَيُجَرِّدَانِ الثَّمَائِلَ وَالنُّصَبَ (الْأَعْلَامَ الْمَنْصُوبَةَ) الْمُحَلَّاةَ بِهَا ؛
حَتَّى لَا يَرَى الْقَبِصَرُ - فِي طَرِيفِهِ - شَيْئًا مِنْ مَظَاهِيرِ التَّكْرِيمِ لَهُ ،
وَالْحَقَاوَةِ بِهِ .

وَقَدْ بَدَلَا جُهْدَيْهِمَا فِي تَحْقِيقِ فِكْرَيْهِمَا الْآثِمَةِ ؛ وَلَكِنَّهُمَا
عَجَزَا جَمِيعًا عَنْ صَدِّ الْجُمُوعِ الْمُتَدَفِّقَةِ الْأُخْرَى . وَلَقِيَا عِقَابَ
نَلَكِ الْجُرَّاءِ الْخَرْقَاءِ (الْحَمَقَاءِ) ، فَسَكَلَ بِهِمَا أَنْصَارُ « قَبِصَر »
وَجَرَّدُوهُمَا مِمَّا أَحْرَزَاهُ مِنَ النَّيَابَةِ (الْمُضْيُوتَةِ فِي الْبَرْلَمَانِ)
وَأَلْقَا عِقَابَ الشَّرَفِ .

٩ - نداءُ العَرَافِ

وَجَاءَ « قَبِصَر » ، فَلَقِيَ مِنْ حَقَاوَةِ الْأَهْلِيلِ وَابْتِهَاجِ الشُّعْبِ ،

مَا يَجْدُرُ بِأَمثَالِهِ مِنْ كِبَارِ الْفَرَاقِ وَالْفَارِجِينَ .

وَذَهَبَ « قَبْصَرُ » مُبَيَّنًا حَلْبَةَ السَّبَاقِ (قَاصِدًا مَبْدَانَهُ) ،
وَحَوْلَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ (جَمَاعَةٌ مِنْ حَاشِيَتِهِ) . وَصَدَحَتِ
الْمُوسِيقَى ، وَفَاضَ الْفَرْحُ وَالِابْتِهَاجُ عَلَى قُلُوبِ الْحَاضِرِينَ جَمِيعًا .
وَرَنَ - فِي أَجْوَازِ الْقَصَا (نَوَاحِيهِ) - صَوْتُ عَالٍ يُنَادِي
الْقَبْصَرَ . قَالَ « قَبْصَرُ » : « مَنْ ذَا يُنَادِينِي ؟ »

فَسَادَ صَمْتُ عَمِيقٍ ، وَكَفَّتِ الْمُوسِيقَى ، وَاشْرَأَبَتِ الْأَغْنَاةُ
(تَطَاوَلَتْ) ، وَأُزْهِفَتِ الْأَذَانُ . وَإِذَا بِصَوْتِ الْمُنْجَمِ يُدَوِّي فِي
الْقَصَا ، مَرَّةً أُخْرَى (وَالْمُنْجَمُ هُوَ الَّذِي يَدْعِي مَمْرَقَةَ الْمُسْتَقْبَلِ ،
وَيَزْعُمُ أَنَّ النُّجُومَ تُرْشِدُهُ إِلَى ذَلِكَ) . وَإِذَا الْمُنْجَمُ يَقُولُ :
« حَذَارِ - أَيُّهَا الْقَبْصَرُ - مِنْ مُنْتَصَفِ مَارِسَ ! »

فَسَأَلَ « قَبْصَرُ » مَنْ حَوْلَهُ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ . فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ
« بُرُوتَسُ » : « إِنَّهُ عَرَّافٌ (مُخْبِرٌ عَنِ الْغَيْبِ) ، يُحَذِّرُكَ
مُنْتَصَفَ هَذَا الشَّهْرِ ! » فَاسْتَدْعَاهُ « قَبْصَرُ » إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَقُولُ ؛
فَاعَادَ عَلَيْهِ الْعَرَّافُ قَوْلَهُ : « حَذَارِ مُنْتَصَفِ مَارِسَ ! »

فَهَزَى بِهِ « قَبْصَرُ » ، وَقَالَ لَهُ سَاحِرًا : « مَا أُرَاكَ إِلَّا حَالِمًا قَدْ
تَمَلَّكَ الْوَهْمُ ، وَأَسْتَوَلَى عَلَيْكَ الْخَيَالُ ... »
ثُمَّ ذَهَبَ « قَبْصَرُ » وَشَمِعَتْهُ ، لِشَهْدُوا حَلْبَةَ السَّبَاقِ .

١٠ - جَوَارِ الصَّدِيقَيْنِ

وَبَقِيَ « كَنْيَاسُ » وَ« بُرُوتَسُ » فِي مَكَانِهِمَا . فَقَالَ أَوْلَاهُمَا
لِصَاحِبِهِ ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : « أُرَاكَ بَاقِيًا حَيْثُ أَنْتَ ، فَهَلِ اعْتَزَمْتَ
أَلَّا تَحْضَرَ حَقْلَ السَّبَاقِ الْمُقَدَّسَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ؟ »
فَقَالَ لَهُ « بُرُوتَسُ » : « إِنِّي لَا أَنْشَطُ لِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلَاغِيبِ
الْفَارِغَةِ ، وَلَا أَحِسُّ رَغْبَةً فِي حُضُورِهَا . »

فَقَالَ لَهُ « كَنْيَاسُ » : « حَسَنًا فَتَعَلَّ ، أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْحَمِيمُ
(الْقَوِيُّ الصَّدَاقَةُ) . وَمَا أُرَاكَ إِلَّا رَاشِدًا فِيمَا تَقُولُ . وَلَكِنْ
أَتَأْذَنُ لِي فِي مُجَاهَرَتِكَ (إِخْبَارِكَ صَرَاحَةً) بِمَا يَجُولُ فِي نَفْسِي
(يَدُورُ بِخَاطِرِي) مِنْ الْعَتَبِ عَلَيْكَ ، أَيُّهَا الصَّدِيقُ ؟ »

فَقَالَ لَهُ « بُرُوتَسُ » : « جَاهِرْنِي بِمَا تَشَاءُ ؛ فَلَيْسَ أَحَبُّ

إِلَى مِنْ حَدِيثِكَ . « فَقَالَ « كُنْيَاسُ » : « أَحَقُّ مَا نَقُولُ ، أَيُّهَا
الصَّدِيقُ ؟ لَقَدْ أُدْخِلَ فِي رُوعِي (وَقَعَ فِي قَلْبِي) أَنَّكَ قَدْ
أَصْبَحْتَ - فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - مُتَنَكِّرًا لِي ... وَتَدَّ حَالُ وِدَادِكَ
(تَغَيَّرَ) ، وَاعْتَبَرْتُ صَفَاؤَكَ (تَكَدَّرَ) ؛ فَأَصْبَحْتَ عَابِسَ الْوُجْهِ ، قَائِمًا
النَّظَرَاتِ ، جَانِفَ الْأَلْفَاظِ ! »

فَقَالَ لَهُ « بُرُوتْسُ » : « مَا أُرَاكَ إِلَّا وَاهِمًا فِيمَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ ؛
فَإِنَّ أَخْرَاقِي الدَّفِينَةَ لَا تَدْعُ لِي مَجَالًا لِلِإِنْسَامِ . وَلَكِنْ تَقِي
بِأَخْوَانِي ، وَوَفَائِي لَهُمْ ، لَمْ يَتَغَيَّرَا قَطُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ . »

١١ - شَكْوَى « كُنْيَاسِ »

فَقَالَ لَهُ « كُنْيَاسُ » : « لَقَدْ أَبْتَهَجْتَ نَفْسِي لِمَا نَقُولُ .
وَلَكِنْ آلامًا أُرِيدُ أَنْ أَبْنُكَ إِيَّاهَا ، وَأُطْلِعَكَ عَلَيْهَا : إِنَّ الْمَظَالِمَ
قَدْ أَفْعَمَتْ قُلُوبَنَا أَسَى وَحُزْنًا . وَلَقَدْ أَجْمَعَ سَرَاهُ « رُومَةُ »
(كُتِبَتْ أَوْهَا وَأَعْبَانُهَا) عَلَى أَنَّكَ وَخَدَكَ زَعِيمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَمَنَاطُ
رَجَائِهَا ، وَمَوْضِعُ أَمَلِهَا . كَمَا أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّكَ - أَوْ عَرَفْتَ حَقِيقَةَ

نَفْسِكَ - قَادِرٌ بِمُفْرَدِكَ عَلَى تَفْرِيجِ كُرْبَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَكَشْفِ
مَا تُصَانِيهِ مِنْ ضَائِقَةٍ وَحَيْفٍ (ظُلْمٍ وَإِزْهَاقٍ) ، وَتَكْلِيفِ
بِمَا لَا يُطَاقُ . » فَقَالَ لَهُ « بُرُوتْسُ » وَاجِمًا :
« إِنَّكَ لَتُكْبِرُ مِنْ أَمْرِي مَا صَعُرَ ، وَتُعْظَمُ مِنْ شَأْنِي مَا حَصُرَ .
وَمَا أُرَاكَ - أَيُّهَا الصَّدِيقُ الْحَمِيمُ - إِلَّا مُورِدِي مَوَارِدِ الْهَلَاكِ
(لَا أَظُنُّكَ إِلَّا ذَاهِبًا إِلَى مَذَاهِبِ الْمَوْتِ) . »

فَقَالَ « كُنْيَاسُ » : « مَا أَجْدَرَنِي أَنْ تُخْلِدَ (تَرْكَنَ) إِلَيَّ
بِتَقَاتِكَ . فَلَسْتُ إِلَّا مِرَاةَ نَفْسِكَ . وَمَا أَنَا بِكَاذِبِكَ الْقَوْلِ ؛
فَإِنِّي أَعْرِفُ النَّاسَ بِصِدْقِي وَإِثَارِي (اخْتِيَارِي) الْجِدِّ ، وَبُعْدِي
عَنِ الرِّيَاءِ وَالنَّفَاقِ وَالتَّمَلُّقِ . فَإِذَا قُلْتُ لَكَ : إِنَّكَ مَنَاطُ رَجَاءِ أُمَمِكَ ،
فَلَسْتُ فِي هَذَا إِلَّا مُقَرَّرًا الْحَقِيقَةَ الْخَالِصَةَ ، الَّتِي لَا يَشُوبُهَا أَقْلُ رَيْبٍ
(لَا يَخْتَلِطُ بِهَا أَيْ شَكٌّ) . »

فَقَالَ « بُرُوتْسُ » : « إِنِّي أَبْذُلُ آخِرَ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِي فِي سَبِيلِ
الْوَطَنِ . وَمَتَى دَعَانِي دَاعِيَ الْوَاجِبِ كَيْفَتُهُ مُسْرِعًا فَرَحًا ، وَتَسَاوَى
فِي نَظَرِي الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ . »

١٢ - حَقْدُ « كُنْيَاس »

قَالَ « كُنْيَاسُ » : « عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي مَا شَكَكْتُ - لَحْظَةً وَاحِدَةً - فِي صِدْقِ عَزِيمَتِكَ ، وَكِرَمِ نَفْسِكَ ، وَإِخْلَالِكَ لَوَطْنِكَ . وَلَقَدْ حَفَرْتُ تِلْكَ الْخِلَالَ الْكَرِيمَةَ (دَفَعْتُ تِلْكَ الْأَخْلَاقَ النَّيْلَةَ) الَّتِي عَرَفْتُهَا فِيكَ ، إِلَى مُجَاهَرَتِكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ :

لَقَدْ وُلِدْنَا - يَا أَخِي - أَخْرَارًا كَمَا وُلِدَ « قَبْصَرُ » ، وَلَنَا مِثْلُ مَوَاهِبِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَزَايَاهُ ، إِنْ لَمْ تَرْجِعْهُ وَتَرُدَّ عَلَيْهِ .

وَلَقَدْ أَقْدَرْتُهُ - ذَاتَ مَرَّةٍ - مِنَ الْغَرَقِ ، بِقُوَّةٍ سَاعِدِي ، وَكَادَ يَهْلِكُ لَوْلَا مُسَاعَدَتِي . وَمَا أَذْرِي : كَيْفَ وَصَلَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى ذُرُوءِ الْمَجْدِ وَالزَّعَامَةِ ، وَبَلَغَ أَعْلَى مَكَانٍ فِيهَا ، وَأَصْبَحَ الشَّعْبُ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَصْبَحْتُ أَنَا - بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ - عَبْدًا ذَلِيلًا ، أَنْحِي أَمَانَتَهُ ، وَلَا أَجْزُو عَلَى مُخَالَفَةِ إِمَارَتِهِ ؟ ...

لَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الرَّجُلَ يَشْكُو آلامَ النُّعْمَى فِي « إِنْسَانِيَا » ، وَرَأَيْتُهُ يَتَأَوَّى مِنَ آلامِ الْمَرَضِ كَمَا يَتَأَوَّى الْأَطْفَالُ ، وَيَبْكُ كَمَا

يَبْكُ الْعَجَزَةُ . وَهَآنَذَا أَرَى ضَعْفَهُ يَتَحَوَّلُ إِلَى قُوَّةٍ ، وَعَجَزُهُ يَصِيرُ إِلَى قُدْرَةٍ ، وَأَرَاهُ يَبْطِشُ بِالْأَقْوِيَاءِ ، وَيَنْتِكُ بِالْقَادَةِ ، وَيُطِيعُ الْأَبْطَالَ وَالزُّعَمَاءَ (يُفِينِهِمْ وَيُهْلِكُهُمْ) . وَمَا أَرَانَا إِلَّا جَدِيرَيْنِ بِالْمَهَانَةِ وَالِاخْتِقَارِ ، مَا دُمْنَا نَسْرُكُ لَهُ الْحَبْلَ عَلَى الْغَارِبِ ، وَنَدْعُهُ بِفَعْلٍ مَا يَشَاءُ ، وَلَا نَقْفُهُ عِنْدَ حَدِّهِ . وَمَا أَذْرِي - وَاللَّهِ - كَيْفَ أُبَيِّحُ لَهُ كُلَّ ذَلِكَ التَّوْفِيقِ ؟ وَأَيُّ رَيْنٍ فِي اسْمِهِ قَدْ خَلَبَ أَلْبَابَ الشَّعْبِ (سَحَرَهَا) ، وَفَتَنَ عُقُولَ الْجُمْهُورِ ؟ أَكُتِبَ اسْمُكَ وَأُسْمُهُ فِي سَطْرِ وَاحِدٍ : « بَرُّوْس » وَ« قَبْصَرُ » ، وَانْطَبَقَ بِهِمَا جَمِيعًا ، وَوَارَنَ بَيْنَ أَخْرَفَيْهِمَا ، فَهَلْ تَرَى أَحَدَهُمَا يَقِلُّ عَنِ الْآخَرِ عُذُوبَةً فِي اللَّفْظِ ، وَرَيْنًا فِي الْأَذْنِ ؟ »

وَمَا زَالَ « كُنْيَاسُ » مُفْضِنًا فِي ضُرُوبِ الْكَيْدِ لِقَبْصَرٍ ، مُتَمَدِّحًا بِخِلَالِ « بَرُّوْس » وَمَزَايَاهُ ، حَتَّى هَاجَهُ وَأَوْغَرَ صَدْرَهُ (أَشْعَلَهُ غَيْظًا) عَلَى صَدِيقِهِ الْحَمِيمِ « قَبْصَر » ، وَحَفَرَهُ إِلَى الْفِتَنِ بِهِ ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُ .

١٣ - عَوْدَةُ « قَيْصَر »

ولمّا عاد « قَيْصَرُ »، لَمَعَ « كُنْيَاسُ » وَهُوَ يُحَادِثُ « بُرُوتَسَ »؛
فَهَمَسَ « قَيْصَرُ » فِي أُذُنِ رَفِيقِهِ الْوَفِيِّ « أَنْطُنْيُوسَ » :
« مَا أُعْجِبَ هَذَا الرَّجُلَ الْخَطِيرَ ، وَمَا أَشَدَّ دَهَائِهِ ، وَأَعْظَمَ
مَكْرَهُ ، وَمَا أَفْجَحَ نَظَرَاتِهِ ، وَأَكْثَرَ هَوَاجِسِهِ (خَوَاطِرَ قَلْبِهِ) ! »
فَقَالَ لَهُ « أَنْطُنْيُوسُ » : « لَا عَلَيْكَ ، وَلَا يَبُوءُكَ هَذَا ، فَهُوَ
- يَا سَيِّدِي - طَلِيبُ الْقَلْبِ ، كَرِيمُ الْأَصْلِ . »

فَقَالَ « قَيْصَرُ » : « إِنَّ « قَيْصَرَ » لَا يَخْشَى كَاتِبًا كَانَ .
وَلَوْ أَنَّ « قَيْصَرَ » يَخْشَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، لَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ
وَحْدَهُ مُصَدِّرَ حَدَرِهِ ، وَمُبْعَثَ خَوْفِهِ . أَلَا تَرَاهُ شَاجِبَ الْوَجْهِ ،
مَهْزُولَ الْجِسْمِ ، كَثِيرَ الْإِطْرَاقِ ، دَائِمَ التَّفَكُّيرِ ، يَكْأَدُ لَا يَبْتَسِمُ ؟
شَدَّ مَا تُدْهِشُنِي غَرَابَةُ أَطْوَارِهِ (أَحْوَالِهِ) ، وَعُمُقُ نَظَرَاتِهِ ! وَمَا أَظُنُّ
« كُنْيَاسَ » هَذَا يَرْتَاحُ لَهُ بَالٌ ، وَيَهْدَأُ لَهُ خَاطِرٌ ، أَوْ يَظْفَرُ بِرُتْبَةِ
الرِّعَاقَةِ ، وَيَنَالُ غَايَةَ الْمَجْدِ . وَمَا أَرَاهُ يَظُلُّ لَيْلَهُ إِلَّا مُورَقًا (سَاهِرًا)

مَهْمُومًا) ؛ لِأَنَّ فِي « رُومَةِ » رَجُلًا أَرْفَعَ مِنْهُ مَنْصِبًا ، وَأَعْلَى مَكَانَةً .
وَأَعْظَمَ جَاهًا . »

١٤ - حَدِيثُ « كُنْكَا »

ثُمَّ خَرَجَ « قَيْصَرُ » وَحَلِيشَتُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا « كُنْكَا » .
وَكَانَ « كُنْيَاسُ » قَدْ جَذَبَ فَضْلَ رِدَائِهِ (طَرَفَ ثَوْبِهِ) ، لِيَجْزُهُ
مَعَهُ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا حَدَثَ فِي حَفْلَةِ السَّاقِ . وَكَانَ « كُنْكَا »
يَمُقَّتُ « قَيْصَرَ » أَشَدَّ الْمَقَّتِ ، وَيُبْغِضُهُ أَشَدَّ الْبُغْضِ ؛ فَرَاحَ يَقْصُ
عَلَى « كُنْيَاسَ » وَ « بُرُوتَسَ » - بَيْنَ الْحَافِدِ الْمَغِظِ الْمُحْنَقِ -
مَارَاهُ فِي تِلْكَ الْحَفْلَةِ ، وَيَقُولُ لَهُمَا : « إِنَّمَا كَانَتْ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِقِصَّةِ
تَمَثُّلِيَّةِ سَخِيفَةٍ . فَقَدْ عَرَضَ « أَنْطُنْيُوسُ » التَّاجَ عَلَى صَدِيقِهِ
« قَيْصَرَ » - عَلَى مَرَأَى مِنَ النُّطَّارَةِ (الْمُشَاهِدِينَ) - فَرَفَضَهُ
« قَيْصَرُ » مُتَظَاهِرًا بِالرَّهْدِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ . وَقَدْ خُدِعَ الْحَاضِرُونَ ،
فَطَفَقُوا لِذَلِكَ التَّمَثُّلِ ، وَقَذَفَ الْعَامَّةُ بَقْلَانِسِهِمْ (أَعْطَبَهُ رُءُوسِهِمْ) ،
وَعَالَتْ صَبَاحَتُهُمْ سُرُورًا . »

بَعْضَ مَا رَأَيْتُهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَدُورَ بِخَلْدِي
أَنَّ الْمَوَاصِفَ تُمْطِرُ شَرًّا ، وَأَنَّ السَّمَاءَ تَقْذِفُ سَاكِينِي الْأَرْضِ نَارًا
وَلَهَبًا ! لَقَدْ هَوَتْ الصَّوَاعِقُ عَلَى بَعْضِ الْأَهْلِينَ فَأَحْرَقَتْهُمْ ، وَرَأَيْتُ



فِي طَرِيقِي عَبْدًا تَغْمُرُ النَّارُ جِسْمَهُ ، وَنِسَاءً مَدْعُورَاتٍ شَاحِبَاتٍ
(مُتَخَبِّرَاتٍ الْوُجُوهِ) يَمْتَسِقْنَ الطَّرْفَاتِ (يَتَخَبَّطْنَ فِي سَيْرِهِنَّ)
عَلَى غَيْرِ هُدًى ، وَقَدْ مَلَأَ الدُّغْرُ قُلُوبَهُنَّ . وَأَبْصَرْتُ أَسَدًا شَارِدًا
فِي الطَّرِيقِ ، وَقَدْ نَظَرَ إِلَيَّ مُحَدِّثًا ، وَلَمْ يَمْسَسْنِي بِأَدًى . وَقَدْ سَمِعْنَا

ثُمَّ خَرَجَ « كَسْكَا » ، بَعْدَ أَنْ لَمَعَ « قَيْصَرَ » ، وَخَفَرَ مِنْ
أَمْرِ مَا شَاءَ لَهُ حِفْذُهُ . وَكَانَ « كَنْيَاسُ » يُحِبُّ قَوْلَهُ ، حَتَّى
امْتَلَأَتْ نَفْسُ « بُرُوتَسَ » حِفْذًا عَلَى صَدِيقِهِ « قَيْصَرَ » ، وَكَرَاهِيَةً
لَهُ . وَخَرَجَ « بُرُوتَسُ » عَلَى أَنْ يَلْتَقِيَ « كَنْيَاسَ » فِي دَارِهِ ،
فِي فَجْرِ الْفَدْرِ .

١٥ - لَيْلَةُ هَائِلَةٍ

وَقَدْ التَّقَى « شَشِيرُونُ » صَدِيقَهُ « كَسْكَا » ، فَرَأَاهُ يَرْعُدُ
وَيَرْمِجُ وَيَهِيحُ غَاضِبًا ، وَقَدْ شَهَرَ فِي يَدِهِ حُسَامَهُ (سَلَّ سَيْفَهُ) ؛
فَسَأَلَهُ « شَشِيرُونُ » : « أَيُّ حَظِّبٍ أَفْرَعَكَ ؟ وَأَيُّ أَمْرِ خَوَّفَكَ ؟ »
فَقَالَ لَهُ « كَسْكَا » : « لَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الْمَفْزَعَاتِ الْمَاضِيَةِ
وَالْأَحْدَاثِ وَالشُّنُونِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالٍ ، وَشَهِدْتُ هَيْجَ الْبَحْرِ ،
وَاصْطِخَابَ الْأَمْوَاجِ (اضْطِرَابَهَا) ، وَتَوَرَّعَ الْمَوَاصِفِ الْهَوَجِ (الرِّيحِ
الَّتِي تَهْبُئُ يَمِينًا وَشِمَالًا) ، وَغُفَّ الزَّوَابِرُ الَّتِي تَقْتَلِعُ الدَّوْحَ (الْأَشْجَارَ
الضَّخْمَةَ) ، وَلَكِنِّي لَمْ أَر - فِي شُكْلٍ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْمَرْوَعاتِ -

الْيَوْمَةَ - ظَهَرَ أَمْسٍ - تَنَعَّبَ وَتُنَذِّرُنَا بِالْوَيْلِ ، فَعَجَبْنَا : كَيْفَ
ظَهَرَتْ نَهَارًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا بِذَلِكَ عَهْدٌ ؟

قَالَ لَهُ « شَيْبِرُونُ » : « مَا أَجْدَرَنِي بِالْعَوْدَةِ إِلَى دَارِي ، فَإِنَّ
الطَّرِيقَ مَحُونَةً لَا تُشْجَعُ عَلَى الْبَقَاءِ فِيهَا . »

وَمَا تَرَكَهُ « شَيْبِرُونُ » ، حَتَّى جَاءَ « كَنْيَاسُ » : فَحَيَّا
صَدِيقَهُ « كَنْشَا » ، وَرَأَى مَا يُسَارِفُهُ مِنَ الدُّعْرِ وَالْخَوْفِ ؛ قَالَ
لَهُ : « لَيْسَ أَحَبُّ إِلَيَّ نَفْسِي مِنْ هَذِهِ الْوَاصِفِ الْمُنْتَهَبَةِ الثَّائِرَةِ ؛
فَإِنَّهَا تُوقِظُ أَلْهَمَمَ ، وَتُنَذِّرُ بِأُمُورٍ جَسَامٍ (عَظِيمَةٍ) . وَلَسْتُ أَرَى
- فِي هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْهَائِلَةِ - إِلَّا إِذَارًا لِسَاكِنِي « رُومَةَ » بِطَرَجِ
الْخُمُولِ وَالْكَتْلِ ، وَشَحْدًا لِعَزَائِمِهِمُ الْخَائِرَةِ ، وَتَقْوِيَةً لِهَمَمِهِمُ
الضَّعِيفَةِ الْفَائِرَةِ : لِيَنْتَقِمُوا مِنَ الظُّلْمَةِ الْمُسْتَبِدِّينَ ، وَيَقْوُوا
صُرُوحَ النِّبْيِ (يَنْقُطُوا بُيُوتَ الظُّلْمِ) ، وَيَقْضُوا عَلَى نَوُوزِ
« قَيْصَرَ » الَّذِي أَذَلَّ زُعَمَاءَ الْبِلَادِ ، وَجَعَلَهُمْ لَهُ عِيدًا وَحَدَمًا . »

• • •

وَكَانَ « كَنْيَاسُ » يَرَى - فِي تَوَرَّةِ الطَّيْسَةِ وَطُغْيَانِهَا - مِثَالًا

لِمَا يَجِيشُ فِي نَفْسِهِ مِنْ تَوَرَّةِ الْحَقْدِ . وَقَدْ أَسْرَّ إِلَى « كَنْشَا »
بِمَا يَشْتَعِلُ فِي صَدْرِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْكِدِّ لِـ « قَيْصَرَ » .
وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى ضَمَّهُ إِلَى شَيْعَتِهِ وَأَنْصَارِهِ .

وَبَاتَ « كَنْيَاسُ » كَيْلَهُ سَاهِدًا (مُورِقًا لَا يَنَامُ) ، يُدَبِّرُ
مَكِيدَتَهُ ، وَيُخَكِّمُ مَوَاسِرَتَهُ الَّتِي أُعْتَزِمَ إِنْقَاذُهَا فِي غَدَاةِ النَّدْرِ
(صُبْحِ الْيَوْمِ التَّالِي) ، مَعَ رِفَاقِهِ الْحَاقِدِينَ ، وَشَيْعَتِهِ الْفَادِرِينَ .

مَا سَمِعَهُ مِنْ « كَنِيَّاسَ » ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَخْلُقَ تِلْكَ
الْأَسْبَابَ خَلْقًا .

الفصل الثاني

١ - وَسَاوِسُ « بُرُوتَسْ »

٢ - مَسَوَاتُ الْجَرِيْمَةِ

فَقَصَى « بُرُوتَسْ » لَيْلَةً هَائِلَةً ، وَظَلَّ طَرِيحَ الْفِرَاشِ ، تَتَنَبَّاهُ
الْوَسَاوِسُ ، وَتُعَاوِدُهُ التَّخَاوُفُ ، وَلَمْ يَطْرُقِ الْكَرَى طَرْفُهُ (لَمْ
يَزِرِ النَّوْمُ عَيْنَهُ) . وَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ هَبَّ مِنْ فِرَاشِهِ مَذْعُورًا ،
وَأَقْضَى خَادِمَةً ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُوقِدَ الْمِصْبَاحَ ، ثُمَّ أَطْرَقَ « بُرُوتَسْ »
مُفَكِّرًا ، وَقَلْبُهُ يَفِيضُ أَسَى وَحُزْنًا ، لِهَوْلِ مَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ .

...

وَكَانَ « بُرُوتَسْ » خَيْرَ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ وَفِي لَ « قَيْصَرَ » ، وَلَمْ
يَكُنْ يَلْقَى مِنْهُ إِلَّا مَا يُحِبُّ . لِهَذَا وَقَفَ « بُرُوتَسْ » مُتَرَدِّدًا
حَائِرًا ، يُحَاوِلُ أَنْ يُسَوِّغَ جَرِيْمَتَهُ (يَجْعَلُهَا مَقْبُولَةً) أَمَامَ نَفْسِهِ ، بَعْدَ
أَنْ اعْتَزَمَ تَحْقِيقَهَا . وَلَمْ يَكُنْ تَمَنَّى مَا يُبْسِغُ افْتِرَافَ هَذِهِ الصَّلَاحِ
الشَّعَاءِ . وَقَدْ أَعْوَزَتْهُ الْأَسْبَابُ ، فَلَمْ يَجِدِ الْأَدِلَّةَ الَّتِي تُنْفَعُهُ بِصَوَابِ

فَقَالَ « بُرُوتَسْ » لِنَفْسِهِ : « إِنَّ الطَّمَعَ بِلا شَكٍّ سَيُعْرِى
« قَيْصَرَ » بِظُلْمِ الشُّعْبِ ، وَالتَّكَبُّرِ عَلَى أَسْدِقَائِهِ . وَلَيْنَ صَحَّ مَا قَالَهُ
« كَنِيَّاسُ » لَيَكُونَنَّ إِشْقَاؤُ « رُومَةَ » عَلَى أَيْدِينَا مِنْ عَنَفِ
الْمُسْتَبِدِّينَ ، وَجَوْرِ الظَّالِمِينَ ، وَلَنَرْتَجِمَنَّ لِلنَّاسِ حُرِيَّتَهُمُ الْمَسْلُوبَةَ .
أَلَا إِنَّنِي لَا أَضْمِرُ حَقْدًا لَ « قَيْصَرَ » ، وَمَا كُنْتُ لَهُ عَدُوًّا يَوْمًا
مِنَ الْأَيَّامِ ، وَلَكِنَّ مَصْلَحَةَ بِلَادِي خَيْرٌ مِنْ صِدَاقَتِهِ ، وَحُرِّيَّةِ
وَطْنِي أَثْمَنُ مِنْ إِرْضَاءِ « قَيْصَرَ » . لَقَدْ طَمَحْتَ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَتَوَجَّ
عَلَى « رُومَةَ » ؛ فَإِذَا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ ، مَكَّنَّا لَهُ مِنْ رِقَابِنَا ، وَأَذَلَّنَا لَهُ
أَعْنَاقَنَا ، وَحَنَيْنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ رُؤُسَنَا . إِنَّ « قَيْصَرَ » لَمْ يُسِئْ إِلَيْنَا ،
وَلَا إِلَى « رُومَةَ » قَطُّ ، وَلَكِنَّهُ - إِذَا تَمَّ لَهُ مَا زَبَدَهُ (مُرَادُهُ) ،
وَتَحَقَّقَتْ أَطْمَاعُهُ - لَنْ يَرْحَمَ كَائِنًا كَانَ ، وَلَنْ يَتَوَرَّعَ عَنِ الْبَطْشِ

بِرُؤُوسٍ « رُومَة » ، وَقَتْلِ أَعْيَانِهَا . إِنَّ بَيْضَةَ الْأَفْعَى لَا بُدَّ أَنْ
تُفْرِخَ بَعْدَ حِينٍ ، ثُمَّ تُصَيِّحُ حَيَّةٌ حَبِيبَةٌ مُؤَذِّنَةٌ تَفْتِكُ بِكُلِّ مَا تَلْقَاهُ
فِي طَرَفِهَا . وَمَا أُجِدَرْنَا أَنْ نُحْطَمَ الْبَيْضَةُ قَبْلَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْهَا
الْحَيَّةُ . إِنَّ عَقْلَ « قَيْصَرَ » رَاجِحٌ لَمْ تُغَالِبْهُ الْأَهْوَاءُ وَالزَّمَعَاتُ
الضَّارَّةُ ، وَلَمْ يُغَيِّرْهُ النِّجَاحُ - فِيمَا نَعْلَمُ - وَلَكِنَّ الْحَيَاةَ قَدْ حَدَرْنَا
أَنْ نُنْخَدِعَ بِتِلْكَ الْمَظَاهِرِ : فَإِنَّ الْعُظَمَاءَ جَمِيعًا يَتَّخِذُونَ التَّوَاضُعَ
- فِي بَدْءِ حَيَاتِهِمْ - مِرْقَاةً إِلَى أَطْمَاعِهِمْ ، وَسُلْمًا لِتَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِمْ ؛
حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْقِمَّةَ ، نَسُوا كُلَّ شَيْءٍ ، وَتَطَلَّعُوا إِلَى سَمَاءِ الْمَظْمَرِ .
وَلَمْ يَذْكُرُوا السُّلْمَ الَّذِي صَعِدُوا أَدْرَاجَهُ ، وَارْتَقَوْا مَرَاتِبَهُ مِنْ
الْأَذَى إِلَى الْأَعَى ، وَلَمْ يَعْرِفُوا لَهُ فَضْلًا عَلَيْهِمْ .

٣ - بِطَاقَةِ الْمُؤَامَرَةِ

وَقَالَ « بُرُوتُسُ » يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بِهَذِهِ التَّعْلِيلَاتِ الْغَاظَةِ . وَإِنَّهُ
لَفَارِقٌ فِي أَوْهَامِهِ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ خَادِمُهُ « لُيُوسُ » وَفِي يَدِهِ
بِطَاقَةٌ أَلْقَى بِهَا الْمُؤْتِمِرُونَ مِنْ نَافِذَةِ عُرْفَتِهِ ، وَفِيهَا :

« أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْتَعِظْ ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْعَمَلِ ، وَاقْتَدِرْ بِأَسْلَافِكَ
(اتَّبِعْ مَنْ قَبْلَكَ) مِنَ الْفَاحِشِينَ ؛ فَإِنَّ إِهَازَ « رُومَةَ » أَنْ يَسِمَ
إِلَّا عَلَى بَدَنِكَ . »

وَمَا انْتَهَى « بُرُوتُسُ » مِنْ قِرَاءَةِ الْبِطَاقَةِ ، حَتَّى سَمِعَ
طَرَقًا بِالْبَابِ ، وَكَانَ الْقَادِمُ « كَنْيَاسُ » وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ رِفَاقِهِ
الْمُؤْتِمِرِينَ بـ « قَيْصَرَ » ، وَهُمْ جَمِيعًا مُلْتَمِسُونَ (مُنْطَوُونَ أَوْجُوهَهُمْ)
لَا يَبْدُو مِنْهُمْ غَيْرُ أَعْيُنِهِمْ . فَأَمَرَهُمْ « بُرُوتُسُ » أَنْ يُبْطِلُوا اللَّتَامَ
(يَرْفَعُوهُ عَنْ وُجُوهِهِمْ) ، وَقَالَ لَهُمْ : « لَسْنَا أَئِمَّةً وَلَا مُجْرِمِينَ ،
فَمَا بَالُنَا نَعْمَلُ فِي الظَّلَامِ ؟ »

ثُمَّ جَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ سَاعَةً فِيمَا يَفْعَلُونَ . وَاقْتَرَحَ « كَنْيَاسُ »
أَنْ يُقْسِمُوا جَمِيعًا عَلَى الْوَفَاءِ بِمُؤَدِّهِمْ لُوطَرِيهِمُ الْعَزِيزِ ، وَالْإِنْتِقَامِ
مِنْ « قَيْصَرَ » الْمُسْتَبِدِّ . فَصَاحَ فِيهِمْ « بُرُوتُسُ » صَوْتَهُ
الْمُغْضَبِ الْحَاقِقِ :

« مَا حَاجَتُنَا إِلَى الْقَسَمِ ، وَنَحْنُ رِجَالٌ لَا نَعْتَدُّ فِيمَا نَعْتَزِمُ ؟
إِنَّ آوَامَنَا وَأَمَانَتَنَا وَاحِدَةً ، وَقَدْ آلَيْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا (أَفْسَمْنَا) أَنْ

نَعْدَمُ الْوَطْنَ ، وَنُنْقِذَ « رُومَةَ » وَنَنْطِشَ بِالْمُسْتَبِدِّ الظَّالِمِ . فَإِذَا
لَمْ نَكُنْ خَلِيقِينَ بِتَحْقِيقِ آمَالِ الْبِلَادِ ، فَلَا خَيْرَ فِينَا ، وَلَا فَائِدَةَ
مِنِ الْقَسَمِ . فَأَمُّنُوا جَبِيسًا عَلَى رَأْيِهِ .

٤ - اقْتِرَاحُ « كَنْيَاسِ »

ثُمَّ قَالَ « كَنْيَاسُ » : « لَا فَائِدَةَ مِنْ قَتْلِ « قَيْصَرَ » إِذَا لَمْ
تُتْبِعَهُ قَتْلَ صَدِيقِهِ الْحَمِيمِ « أَنْطَلْنِيُوسَ » : حَتَّى لَا يَهْمِجَ الشَّعْبُ ،
فَيَحْرُسَهُ عَلَى إِذْنَانَا وَالْإِنْتِقَامِ مِنَّا .

قَالَ « بُرُوتُسُ » : « لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْاِقْتِرَاحِ ،
وَلَا أَصْبَحْنَا مُجْرِمِينَ سَفَاحِينَ (مُسِيلِينَ لِلْدِّمَاءِ مُحِبِّينَ لِلْفُغْدَرِ) .
لَقَدْ اعْتَرَمَنَا أَنْ نُنْقِذَ الْبِلَادَ مِنْ اسْتِبْدَادِ « قَيْصَرَ » وَظُلْمِهِ ،
فَا ذَنْبُ « أَنْطَلْنِيُوسَ » ؟ وَمَا بَالُنَا نَجْزِعُ مِنْهُ ، وَهُوَ لَمْ يُسِئْ إِلَى
وَطَنِنَا ، وَلَمْ تَبْدُرْ مِنْهُ إِسَاءَةٌ إِلَى « رُومَةِ » ؟ لَوْ أَنَّنَا قَدَرْنَا عَلَى
إِزْهَاقِ رُوحِ « قَيْصَرَ » دُونَ أَنْ نُرِيقَ مِنْ دِمِهِ قَطْرَةً وَاحِدَةً ، لَكُنَّا
أَسْعَدَ النَّاسِ . وَلَكِنْ وَاسْأَلْهُ ! لَسَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَا مَعْدَى لَنَا

(لَا مَخْلَصَ) عَنْ سَفْكِ دِمِهِ مُرْغَمِينَ ، لِتَحْقِيقِ غَايَتِنَا النَّبِيلَةِ .
وَلَوْلَا تَعَايُنُنَا فِي نُصْرَةِ الْوَاجِبِ وَخِدْمَةِ الْوَطَنِ ، لَمَا فَكَّرْنَا لِحُظَّةٍ
وَاحِدَةً فِي الْأَقْدَامِ عَلَى هَذِهِ الْقَعْلَةِ النُّكْرَاءِ .
فَلَمْ يَجِدْ « كَنْيَاسُ » بُدًّا مِنْ مُوَافَقَةِ « بُرُوتُسَ » عَلَى مَا قَالَ .

٥ - فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ

ثُمَّ دَقَّتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، فَقَالَ « كَنْيَاسُ » :
« لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ ، فَوَدَاعًا أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّبِيلُ ،
حَقَّقَ اللَّهُ آمَانَنَا ، وَأَنْجَحَ مَسْعَانَا .

وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَخَلَّفَ « قَيْصَرُ » فِي هَذَا الْيَوْمِ عَنِ الذَّهَابِ
إِلَى دَارِ النَّبَايَةِ ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَخَافُ وَيَتَطَيَّرُ
(يَتَشَاءَمُ) ، وَرُبَّمَا لَزِمَ يَتَتَهُ انْقِطَاعُ لِمَا سَمِعَهُ مِنَ الرَّافِرِ ، وَمَارَاهُ
- النَّبِيلَةَ - مِنَ الْمُرْجِعَاتِ .

قَالَ أَحَدُ الْمُؤْتَمِرِينَ : « لَا يَهْمُكُمْ ذَلِكَ ؛ فَإِنِّي كَفِيلٌ
بِإِخْرَاجِهِ مِنْ قَصْرِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَسَأَعْرِفُ كَيْفَ أَمْلَقُهُ وَأَتَجَبُّ

إِلَيْهِ ، وَأُزِينَ لَهُ الذَّهَابَ إِلَى دَارِ النِّبَابَةِ ؛ حَتَّى لَا تُقْلِتَ مِنْ أَيْدِيهَا
هَذِهِ الْفُرْصَةُ الثَّمِينَةُ النَّادِرَةُ .

وَهَكَذَا قَرَّرَ قَرَارُهُمْ ، وَأَعَدُّوا عُدَّتَهُمْ لِلْفَتَاكِ بِـ « قَيْصَر » فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُشْهُومِ . ثُمَّ وَدَّعُوا « بُرُوتَسَ » ، وَخَرَجُوا مَسْرُورِينَ
بِمَا أَخْرَزُوهُ مِنْ فَوْزٍ وَشَيْكٍ (نَجَاحٍ قَرِيبٍ) .

٦ - حِوَارُ « بُرْشَا »

وَبَقِيَ « بُرُوتَسُ » غَارِقًا فِي وَسْوَيسِهِ وَأَحْلَامِهِ . وَإِنَّهُ لَيُبْكِرُ
فِي هَذِهِ الْمَوَاقِعِ الْخَطِيرَةِ ، إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ زَوْجَةُ « بُرْشَا » .
فَدَهِشَ « بُرُوتَسُ » لِمَقْدَمِهَا ، ودَخُولِهَا عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ
الْمُبَكَّرَةِ ، وَسَأَلَهَا مُتَعَجِّبًا :

« مَاذَا أَلَمَ بِكَ ، أَيُّهَا الزَّوْجُ الْعَزِيزَةُ ؟ »

قَالَتْ لَهُ « بُرْشَا » : « مَا أَعْجَبَ مَا يَبْدُو مِنْكَ مِنْ شُدُودٍ
فِي هَذَا الْيَوْمِ ! تَرَى : أَيُّ شَيْءٍ قَدْ هَاجَ بِبُلَاكَ ، وَأَثَارَ هَمِّكَ
وَعَمَلِكَ ، وَأَزَعَجَ خَاطِرَكَ ؟ أَيُّ حَادِثٍ أَقْضَى مَضْجَعَكَ (جَعَلَهُ

حَسَنًا لَا تَطْمَئِنُّ عَلَيْهِ) ؟ وَأَيُّ عَارِضٍ غَيَّرَ مِنْ أَخْلَاقِكَ ؟
وَمَا بِكَ أَنْ أُبَيِّنَ لَكَ لَيْلَةَ أَمْسٍ ، حِينَ سَأَلْتُكَ عَنْ مَصْدَرِ
شُكْوَاكَ وَمَبْتِئِ أَلَمِكَ ؟ أَلَسْتُ أَنَا زَوْجُكَ الْوَفِيَّةُ الْمُخْلِصَةُ الْبَارَةُ ؟
أَلَسْتُ جَدِيرَةً أَنْ تَشْفِقَ بِي ، وَتُقْفِيَ إِلَيَّ بِدُخَانِكَ (تَبُوحٍ لِي
يَخْفِي أَمْرُكَ) ؟ فَمَا بِكَ تَحْذَرُنِي ، وَتَكْتُمُ عَنِّي مَصْدَرَ أَلَمِكَ ،
وَتَحْجُبُ دُونِي سِرَّ مَتَاعِكَ ؟ وَكَيْفَ تَسْأَلُ مِنْ فِرَاشِي خُفْيَةً
دُونَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا أَقْضَى عَلَيْكَ مَضْجَعَكَ ؟ وَلِمَاذَا تَتَنَفَّضُ مَدْعُورًا
- لَيْلَةَ أَمْسٍ - حِينَ كُنَّا نَتَعَشَّى ، وَتَمَشِّي فِي أَجْنَاءِ الْفُرُفَةِ ضَامًّا
ذِرَاعَيْكَ إِلَى صَدْرِكَ ، حَائِزَ النَّظَرَاتِ ، يَكَاذُ الْأَمْسَى يَفْتِكُ بِكَ ،
وَأَنْتِ تَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ (تَتَنَفَّسُ طَوِيلًا مِنْ شِدَّةِ الْهَمِّ) ، وَقَدْ
اسْتَوَلَى عَلَيْكَ الذُّهُولُ وَالْحَيْرَةُ ؟ فَلَمَّا سَأَلْتُكَ - فِي رِفْقٍ
وَحَنَانٍ - عَمَّا أَلَمَ بِكَ مِنَ الْأَخْدَاتِ وَالْخُطُوبِ ، ثَارَ ثَائِرُكَ ،
وَبَنْظَرَتْ إِلَيَّ نَظْرَةً فِيهَا أَلْفُ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْقَسْوَةِ وَالْحَقْدِ
وَالْكَرَاهِيَةِ . فَلَمَّا أَلَحَّخْتُ عَلَيْكَ خَاشَتْنِي (أَغْلَظْتُ عَلَى فِي
الْبِكَلَامِ) ، وَصَرَبْتَ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ ، وَلَذْتَ بِالصَّمْتِ ، وَلَجَأْتَ

إِلَى الشُّكَاكِ ، وَأَشْرَتْ إِلَى أَنْ أَذْهَبَ لِشَأْنِي . فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ
الْإِذْعَانِ لِإِشَارَتِكَ ، وَقَدْ أَقْبَنْتُ أَنْنِي - إِذَا أَصْرَنْتُ عَلَى سُؤَالِكَ -
أَلْهَيْتُ نَوَازِنَكَ ، وَحَمَلْتُكَ عَلَى التَّمَادِي فِي شَرِّكَ . وَكَانَتْ هَذِهِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ تَقْسُو فِيهَا عَلَيَّ . فَلَمْ تَكُفُّ عَنِّي - أَيُّهَا الزَّوْجُ النَّبِيلُ -
مَا تُحِبُّهُ مِنْ آلامٍ ؟ أَلَسْتُ عَلَى نِقْمَةٍ أَنْنِي شَرِيكَتُكَ فِي السَّرَّاءِ
وَالْفُسْرَاءِ ، وَحَلِيفَتُكَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَأَنْنِي لَكَ صَادِقَةٌ أَمِينَةٌ ،
وَأَنَّكَ لِي نِعَمَ الزَّوْجِ الْبَارِّ الْوَفِيُّ الَّذِي لَا أَعْدِلُ بِهِ بَدِيلًا ، وَالَّذِي
هُوَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَأَتَمُّ مِنَ الْحَيَاةِ بِكُلِّ مَا تَخُوِيهِ مِنْ
مَبَاهِجٍ وَأَفْرَاحٍ .

٧ - رَسُولُ الشَّرِّ

وَمَا سَمِعَ « بَرُوتُسُ » مِنْ زَوْجِهِ هَذَا السَّابَّ الرَّقِيقِ ، حَتَّى
لَانَ جَانِبُهُ ، وَرُئِيَ عَنْهُ ، وَطَابَ خَاطِرُهُ . وَهَمَّ بِأَنْ يُفْضِيَ إِلَى
زَوْجِهِ بِدِخْلَتِهِ (يُحَدِّثُهَا بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ) ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ طَرَقًا
بِالْبَابِ ؛ فَوَعَدَهَا بِأَنْ يُخْبِرَهَا بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ (حَقِيقَتِهِ) ، بَعْدَ أَنْ

يَسْتَقْبِلُ ذَلِكَ الزَّائِرَ . وَلَمْ يَلْقَ « بَرُوتُسُ » ضَيْفَهُ ، حَتَّى
عَرَفَ أَنَّ أَحَدَ الْمُؤْتَمِرِينَ بِـ « قَيْصَرَ » ، جَاءَ إِلَيْهِ لِيُخْفِزَهُ إِلَى الْخُرُوجِ
مَعَهُ لِنَتْفِيزِ الْمُؤَامَرَةِ الشَّنْعَاءِ . فَارْتَدَّى « بَرُوتُسُ » ثِيَابَهُ عَلَى عَجَلٍ ،
وَخَرَجَ مَعَ الزَّائِرِ ، دُونَ أَنْ يُخْبِرَ زَوْجَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ ،
(يَسْتَرَدِّدُ فِيهَا) مِنَ الْوَسَاوِسِ الْمُرْعِجَةِ .

وَجَلَسَتْ « بَرُشَا » تَرْتَقِبُ عَوْدَةَ زَوْجِهَا فَلَقَتْهُ مَهْمُومَةً ، وَهِيَ
لَا تَعْلَمُ مَا يَخْبُوهُ الْقَدَرُ مِنْ مُرْجَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ .

٨ - فِي بَيْتِ « قَيْصَرَ »

أَمَّا « قَيْصَرُ » فَقَدْ نَهَضَ مِنْ نَوْمِهِ مُبَكَّرًا ، وَهُوَ مُفْرَعُ الْقَلْبِ ،
بِأَنَّهُ مَا رَأَاهُ مِنَ الْوَسَاوِسِ وَالْأَحْلَامِ الرَّاعِبَةِ (الْمُخِيفَةِ) فِي تِلْكَ
الَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ .

وَقَدْ قَصَّتْ زَوْجُهُ « كَلْبُرِيَا » لَيْلَةَ هَائِلَةً ، وَنَهَضَتْ مِنْ
نَوْمِهَا خَائِفَةً مَذْعُورَةً مَرَّاتٍ ثَلَاثًا ، وَهِيَ تَصِيحُ مُرْوَعَةً مُفْرَعَةً :
« وَاعُونَاهُ ! وَامْصِيبَتَاهُ ! أَدْرِكُوا « قَيْصَرَ » . لَقَدْ أَحَاطَ بِهِ الْفَتَاكُ

الآثُونَ ، وَأَنْشَبُوا فِي جَنْبِهِ خَنَاجِرَهُمُ الْمَاضِيَةَ . أَذْرِكُوهُ فَإِنَّ الدَّمَاءَ تَتَدَفَّقُ مِنْ جَسَدِهِ !

وَلَقَدْ دُعِيَ كُلُّ مَنْ فِي الْقَصْرِ لِصَبِيحَاتِهَا ، وَفَرَعُوا الْفِرْعَاعِيَّ ، وَحَافِلُوا جُهْدَهُمْ أَنْ يُسْرُوا عَنْهَا ؛ فَذَهَبَتْ مَسَاعِيَهُمْ أَذْرَاجُ الرِّيَّاحِ (ضَاعَتْ بِلا فَايِدَةٍ) . فَلَمَّا أَسْبَحَتْ ، حَافِلَتْ جُهْدَهَا أَنْ تَمْنَعَ « قَبْصَر » مِنْ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُومِ . وَلَكِنْ « قَبْصَر » أَبَى أَنْ يَسْمَعَ لَهَا قَوْلًا ، وَهَزَأَ بِكُلِّ مَا رَأَاهُ وَسَمِعَهُ مِنَ التَّنْذِيرِ (النَّصَاحِ وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي أُنْذِرَ بِهَا وَحْدَر) ؛ فَقَالَتْ لَهُ زَوْجُهُ :

« لَسْتُ بِمَنْ يُعْنَى بِتَسْفَافِ الْأُمُورِ وَحَقِيرِهَا ، وَتَافِهِ الْأَشْيَاءِ وَصَمِيرِهَا . وَلَكِنِّي أَشْمُرُ - مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِي - بِشُؤْمِ هَذَا الْيَوْمِ وَنَحْوِهِ ، وَأَضْرَعُ إِلَيْكَ مُتَوَسِّلَةً أَلَّا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِكَ . »

فَقَالَ لَهَا « قَبْصَرُ » : « إِنَّ الرَّجُلَ لَا يَرْهَبُ الْمَوْتَ ، وَلَا يَنْزِعُ مِنْ مُوَاجَهَةِ الْكَوَارِثِ ، وَإِقَاءِ الْمَصَائِبِ . وَلَيْسَ « قَبْصَرُ » مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى ، وَيَخْشَى الْمَوْتَ . »

فَقَالَتْ لَهُ زَوْجُهُ : « لَقَدْ سَأَلْتُ الْمُرَافِينَ ، فَحَدَّثُونِي هَذَا

الْيَوْمَ ، وَأَوْصَوْا جَمِيعًا بِسَمْعِكَ مِنَ الْخُرُوجِ ، حَتَّى لَا تَتَعَرَّضَ لِلْمَسْكَارَةِ وَالْخُطُوبِ . »

فَقَالَ لَهَا « قَبْصَرُ » هَازِمًا : « لَسْتُ بِالْوَالِدِ الْمُنْتَلَعِ (الْحَزِينِ الْمُتَوَجِّعِ) ، وَلَسْتُ بِالْجَبَانِ الَّذِي يَمُوتُ أَلْفَ مَرَّةٍ لِأَنَّهُ يَخَافُ الْمَوْتَ دَائِمًا . وَإِنَّمَا أَنَا حُرٌّ لَا يَخْشَى شَيْئًا ، وَلَا يَخْدَعُهُ ضَوْءُ النَّهَارِ الَّذِي يَلْمَعُ بِهِ الرَّمْلُ فِي الصَّخْرَاءِ ، فَيَظُنُّهُ النَّاطِرُ - مِنْ بَعِيدٍ - مَاءً ، وَهُوَ سَرَابٌ خَدَّاعٌ . وَالْحُرُّ الْمَقْدَامُ لَا يَمُوتُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ يَحْضُرُهُ أَجَلُهُ . »

نَمْ قَالَ :

« يَحْيَا الْجَبَانُ بِقَلْبِهِ وَالِدٍ فَرَعَ

يَخْشَى الرَّدَى ، وَبِهَابِ الْمَوْتِ مُرْتَاةَا

يَمُوتُ أَلْفًا ، وَيَخْشَى - مِنْ مَهَانَتِهِ -

شَرَّ الْحِمَامِ ، وَيَبْقَى الدَّهْرَ مُلْتَاةَا

وَالْحُرُّ لَا يَرْهَبُ الْأَحْدَاثَ - إِنْ وَقَعَتْ -

وَلَا يُرْجَى سَرَابًا لَاحَ خَدَّاعَا

يَمُوتُ وَاحِدَةً - إِنْ جَاءَهُ أَجَلٌ -

وَلَيْسَ يَرْهَبُ آلَمًا وَأَوْجَاعًا !

٩ - حُلْمٌ « كَلْبُرِيَا »

فَقَصَّتْ عَلَيْهِ « كَلْبُرِيَا » حُلْمًا مُفْرَعًا رَأَتْهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ،



وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُفَّ عَنِ الْخُرُوجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ ، وَقَالَتْ لَهُ :
« لَا تَخْشَ - أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ - أَنْ يَتَهَمَكَ النَّاسُ

بِالْخَوْفِ ! فَإِنَّ شَجَاعَتَكَ مَعْرُوفَةٌ ذَائِعَةٌ . وَسَيَقُولُ النَّاسُ جَمِيعًا :
إِنْ « قَيْصَرٌ » قَدْ عَدَلَ عَنِ الْخُرُوجِ إِرْضَاءً لِرُزُوحِهِ ، وَبِرًّا بِهَا .
وَسَيَعْرِفُونَ أَنَّ خَوْفَ رُزُوحِكَ - لَا خَوْفَكَ أَنْتَ - هُوَ السَّرُّ فِي
أَمْتِنَاكَ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى دَارِ النِّيَابَةِ .

ثُمَّ رَكَعَتْ جَانِبَةً (جَالِسَةً عَلَى رُكْبَتَيْهَا) ضَارِعَةً إِلَيْهِ ، مُسْتَشْفِعَةً
بِهِ أَلَّا يُخَيِّبَ رَجَاءَهَا ، وَأَلَّا يَتْرُكَهَا نَهَبَ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ (عُرْضَةً
لَهَا ، تَنْهَبُهَا وَتَقْتَرِسُهَا) ، وَأَنْ يُسِرَّ إِلَى « أَنْطَنِيُوسَ » بِالذَّهَابِ إِلَى
دَارِ النِّيَابَةِ ، لِيُخْبِرَ نَوَّابَ « رُومَةَ » أَنَّ « قَيْصَرَ » قَدْ امْتَنَعَ
عَنِ الذَّهَابِ إِلَيْهِمْ ، لِأَمْرِ طَارِيءٍ أَلَمَ بِهِ . فَلَمْ يَرَّ « قَيْصَرٌ » بَدَأَ
مِنْ تَلْسِيَةِ رَجَائِهَا ، وَاعْتَزَمَ الْبَقَاءَ فِي قَصْرِهِ إِرْضَاءً لَهَا .

١٠ - تَأْوِيلُ الرُّوْيَا

وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ « دِسْيَاسُ » - أَحَدُ الْمُؤْتَمِرِينَ
بِهِ - يَدْعُوهُ إِلَى الْخُرُوجِ .

فَقَالَ لَهُ « قَيْصَرٌ » : لَقَدْ اعْتَزَمْتُ الْبَقَاءَ فِي بَيْتِي - هَذَا

اليَوْمَ - فَادْهَبْ إِلَى نَوَّابِ «رُومَةَ» وَاحْمِلْ قَرَارِي إِلَيْهِمْ .
قَالَتْ «كَلِّبْنِيَا» لِلرَّسُولِ : «نَعَمْ، وَخَبَّرْهُمْ أَنَّ «قَبْصَرَ» مَرِيضٌ
لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ .

فَصَاحَ «قَبْصَرُ» : «كَلَّا لَا تَقْعَلْ، يَا «دِسْيَاسُ» !
ثُمَّ انْتَفَتَ «قَبْصَرُ» إِلَى زَوْجِهِ ، وَقَالَ : «أَتُرِيدُنِي عَلَى أَنَّ
أَكْذِبَ ؟ أَلَا سَاءَ مَا تَوَهَّمِينَ ، يَا لَهِ ! أَيْكُذِبُ «قَبْصَرُ» ؟
وَهَلْ يَكْذِبُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ ؟

ثُمَّ صَاحَ فِي صَاحِبِهِ «دِسْيَاسَ» قَائِلًا : «كَلَّا ، لَسْتُ مَرِيضًا ؛
فَلَا تَكْذِبْهُمْ الْقَوْلَ ، يَا «دِسْيَاسُ» . حَسْبُكَ أَنْ تُخَيِّرَهُمْ أَنَّنِي
قَدِ اعْتَزَمْتُ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ هَذَا النَّهَارَ .

فَقَالَ لَهُ «دِسْيَاسُ» : «مَاذَا قَوْلُ ، يَا سَيِّدِي الْقَبْصَرُ ؟
وَكَيْفَ يَتَلَقَّى النُّوَّابُ هَذَا الْقَرَارَ ؟

فَقَالَ لَهُ «قَبْصَرُ» : «لَقَدْ رَأَتْ زَوْجِي - فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ -
حُلْمًا هَائِلًا (مُخِيفًا) ، مَلَأَ قَلْبَهَا فَرْعًا وَرُغْبًا ، إِذْ أَبْصَرَتْ فِي مَنَامِهَا
رِثْمَالِي ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهُ مِائَةٌ تَنْبَعُ مِنَ الدَّمَاءِ الزَّكِيَّةِ (الطَّيِّبَةِ

الطَّاهِرَةِ) ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ جَمْهَرَةً مِنْ أَهْلِ «رُومَةَ» ، فَفَعَسَتْ أَيْدِيهَا
فِي الدَّمَاءِ مُبْتَهِجَةً مُسْرُورَةً .

وَقَدْ هَالَتْ زَوْجِي تِلْكَ الرُّوْيَا وَأَخَافَتُهَا ، وَرَغَبْتُهَا وَفَزَعْتُهَا ؛ فَاصْرَتْ
عَلَى بَقَايَ مَعَهَا فِي الدَّارِ ، طُولَ هَذَا النَّهَارِ .
فَضَحِكَ «دِسْيَاسُ» ، وَقَالَ لَهُ «قَبْصَرُ» :

«أَتَى فَرْعٌ فِي هَذِهِ الرُّوْيَا السَّارَةِ الْبَهِيجَةِ ؟ إِنْ لِي رَأْيَا فِي تَأْوِيلِهَا
(تَقْسِيرِهَا) غَيْرَ مَا تَرَيَانِ ؛ فَإِنَّ الْأَحْلَامَ تُؤَوَّلُ (تُعْبَرُ) عَلَى عَكْسِ
مَا يَرَاهُ الْحَالِمُ ، وَلَسْتُ أَرَى فِي تِلْكَ الدَّمَاءِ الْمُرَاقَةِ (الْمُسْفُوحَةِ)
الْمُسْكُوبَةِ) - الَّتِي سَالَتْ مِنْ نِمْثَالِكَ ، وَاعْتَسَلَ فِيهَا أَشْرَافُ
«رُومَةَ» - إِلَّا دَلِيلًا جَدِيدًا عَلَى مَا يَبْعَثُ رُوحَكَ الْعَظِيمَ - فِي
أَبْنَاءِ «رُومَةَ» - مِنْ الْقُوَّةِ ، وَمَا تُكْسِبُ دِمَاؤُكَ الزَّكِيَّةَ وَطَنَكَ
مِنْ الْحَيَاةِ وَالْقُوَّةِ . وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ الْحُلْمَ الْبَهِيجَ يَدُلُّ عَلَى
مَكَانَتِكَ فِي قُلُوبِ الرُّومَانِ ، إِذْ يُنْتَلِ أَفْذَاذَ «رُومَةَ» (أَفْرَادَهَا
الْمُمْتَازِينَ) وَعُظْمَانَهَا ، مُقْبِلِينَ عَلَيْكَ ، مُعْجِبِينَ بِمِزَايَاكِ الْبَاهِرَةِ ،
رَاجِعِينَ فِي أَنْ يَنْظُرُوا بِأَثَرٍ مِنْ آثَارِكَ الزَّكِيَّةِ الطَّاهِرَةِ .

١١ - حِيلَةُ « دِشَاس »

فَاتَّبَعَ « قَيْصَرُ » بِمَا سَمِعَ ، وَسُرَّ مِنْ تَأْوِيلِ الرُّؤْيَا ، وَعَدَلَ
عَنِ الْبَقَاءِ فِي دَارِهِ .

فَأَسْتَأْنَفَ « دِشَاسُ » كَلَامَهُ قَائِلًا :

« لَقَدْ اعْتَزَمَ سِرَاةُ « رُومَةَ » (أَشْرَفُهَا) أَنْ يَمْنُوكَ النَّاجِ فِي
هَذَا الْيَوْمِ ، وَرُبَّمَا أَغْضَبَهُمْ تَحَلُّفُكَ عَنِ الْحُضُورِ ، وَرَأَوْا فِي ذَلِكَ
إِزْرَاءَ (تَخْفِيرًا) لَهُمْ ، وَأَسْتَهَانَةً بِهِمْ ، وَتَعَالَيْتُمْ عَلَيْهِمْ ؛ فَعَدَلُوا عَنْ
رَأْيِهِمْ فِيكَ ، وَانْقَلَبَ حُبُّهُمْ إِيَّاكَ ضَغِينَةً عَلَيْكَ وَحَقْدًا .

وَلَنْ يَمِيلَ كَأَنَّ كَانَ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ « قَيْصَرَ » يَخَافُ لِيَخَوفِ
زَوْجِهِ ، وَيَنْسَى وَاجِبَهُ اتِّقَاءَ لَوْسَاوَسَ لَا خَطَرَ لَهَا . وَلَنْ يَدُورَ بَخْلِدِ
إِنْسَانٍ (لَنْ يَمُرَّ بِخَاطِرِ أَحَدٍ) ، أَنَّ « قَيْصَرَ » يَنْسَى شَعْبَهُ ،
مُسْتَلِيمًا لِأَضْعَافِ الْأَخْلَامِ (أَخْلَاطِهَا) .

وَلَقَدْ كُنْتُ - لَوْلَا حَيْثُكَ (مَحَبَّتِي إِيَّاكَ) وَوَفَائِي لَكَ -
مُفْرَكًا عَلَى رَأْيِكَ ؛ وَلَكِنِّي أَخْشَى - إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ - أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْأَنْثَمَةِ الْفَادِرِينَ ! »

فَنَجَلَ « قَيْصَرُ » مِمَّا سَمِعَ ، وَفَرَرَ الذَّهَابَ - مِنْ قَوَرِهِ -
إِلَى دَارِ النِّيَابَةِ . وَازْتَدَى عِبَادَتَهُ ، وَهَمَّ بِالْخُرُوجِ ؛ فَرَأَى بَقِيَّةَ
الْمُؤْتَمِرِينَ بِدَارِهِ عَلَى دَارِهِ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ « بُرُوسُ » -
يَدْعُوهُ لِمُرَافَقَتِهِمْ إِلَى دَارِ النِّيَابَةِ .

ثُمَّ جَاءَ صَدِيقُهُ الْوَفِيُّ « أَنْطُونْيُوسُ » ، وَخَرَجُوا جَمِيعًا مَعَ
« قَيْصَرَ » ، وَقَدْ سُرِّيَ عَنْهُ ، وَزَالَتْ وَخَشَتُهُ ، وَذَهَبَ مَا كَانَ
يُساوِرُهُ مِنَ الْخَوَافِ .

١٢ - جَزَعُ « بُرْشَا »

أَمَّا « بُرْشَا » - زَوْجُ « بُرُوسَ » - فَقَدِ اشْتَدَّ جَزَعُهَا عَلَى
زَوْجِهَا . وَقَدْ أَدْرَكَتْ - مِمَّا رَأَتْهُ مِنْ الْإِضْطِرَابِ عَلَى أَسَارِيرِهِ
(خُطُوطِ جَبِينِهِ) - أَنَّهُ قَادِمٌ عَلَى أَمْرِ جَلِيلٍ (عَظِيمٍ) ، وَخَشِيتُ
أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ . فَلَمَّا بَلَغَتِ السَّاعَةُ الثَّانِيَةَ ، أَمَرَتْ خَادِمَهَا أَنْ
يَذْهَبَ إِلَى دَارِ النِّيَابَةِ لِيُطْمَئِنِّهَا .

وَلَكِنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتًا خَافِيًا : فَأَرْهَفَتْ أُذُنَيْهَا ، حَتَّى دَانَاها
الصَّوْتُ ؛ فَرَأَتْ عَرَّافًا يَتَقَرَّبُ ، فَتَادَتْهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا . فَسَأَلَتْهُ
عَمَّا يَخْبُوهُ الْقَدَرُ لِرُؤُوسِهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ .

فَقَالَتْ لَهُ « بُرْشَا » مَخْزُونَةٌ خَائِفَةٌ :

« هَلْ خَرَجَ « قِصْرُ » مِنْ دَارِهِ ؟ »

فَأَجَابَهَا الْعَرَّافُ :

« لَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ خُرُوجِهِ ، وَسَأَذْهَبُ إِلَيْهِ ؛ لِأَحْذَرَهُ عَاقِبَةَ
هَذَا الْيَوْمِ الْمَشْهُومِ . »



فَقَالَ لَهَا الْعَرَّافُ : « أَرَى أَنَّ زَوْجَكَ يَهُمُّ بِعَظِيمَةٍ مِنْ عَظِيمَاتِ
الْأُمُورِ ، وَأَخْشَى أَنْ يَلْقَى - مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْخُطُوبِ - مَا لَا يَعْلَمُهُ
إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ . »

١ - النَّذِيرُ الْأَوَّلُ

أَمَّا « قَيْصَرُ » فَقَدْ سَارَ مَعَ رَفَائِقِهِ الْعَادِرِينَ - وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا تَخْبِيهِ لَهُ الْأَقْدَارُ - حَتَّى بَلَغُوا دَارَ السَّيَابَةِ .

وَمَا سَارَ « قَيْصَرُ » خَطَوَاتٍ قَلِيلَةً ، حَتَّى دَانَاهُ فَيْلَسُوفُ رُومِيٍّ (يُونَانِيٌّ) . وَكَانَ هَذَا الْفَيْلَسُوفُ الرُّومِيُّ يُحِبُّ « قَيْصَرَ » وَيُخْلِصُ لَهُ : فَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَرَقَةً يُحَذِّرُهُ فِيهَا عَدُوَّ أَصْحَابِهِ الْأَحْطِيطِينَ بِهِ .

فَقَالَ لَهُ « قَيْصَرُ » : « أَزْجِيْ هَذِهِ الْوَرَقَةَ إِلَى مَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ . » فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ النَّاصِحُ : « بَرَبَّاكَ - يَا سَيِّدِي الْفَيْصَرَ - عَجِّلْ بِقِرَاءَتِهَا ؛ فَإِنَّ فِيهَا أَمْرًا خَطِيرًا يَعْنِيكَ ، وَيَهْمُكَ أَنْ تَتَعَرَّفَهُ . » فَقَالَ لَهُ « قَيْصَرُ » : « مَا دَامَتِ الْوَرَقَةُ لَا تَعْنِي سِوَايَ ، وَلَا تَهْمُ غَيْرِي ، فَإِنِّي مُرْجِي رُؤْيَيْهَا ، وَمَوْخَرُ قِرَاءَتِهَا حَتَّى أَنْتَهِيَ مِنْ وَاجِبَاتِ الدَّوْلَةِ وَفُرُوضِهَا . »

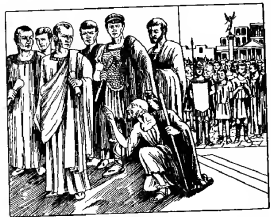
فَلَمَّا رَأَى « كَنَاسُ » الدَّاهِيَةَ الذَّكِيَّ الْإِلْحَاحَ ذَلِكَ النَّاصِحُ ، خَشِيَ أَنْ تَسُوَّ الْعَاقِبَةُ ، وَتَوَجَّسَ مِنْهُ شَرًّا ؛ فَقَالَ لَهُ غَاضِبًا :
« حَذَارْ أَنْ تُخْلِفَ (إِنَّاكَ أَنْ تُبْلِحَ) عَلَى الْقَيْصَرِ الْعَظِيمِ ؛ وَحَسْبُكَ أَنَّهُ قَدْ وَعَدَكَ بِالْظَّرِّ فِي أَمْرِكَ . »
وَاتَهَرَّ « كَنَاسُ » الْمَاهِرُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، فَأَخَذَ الْوَرَقَةَ ، وَاسْتَبَدَلَ بِهَا أُخْرَى ؛ لِئَامِنْ كُلِّ شَرٍّ .

٢ - النَّذِيرُ الثَّانِي

وَسَارَ « قَيْصَرُ » خَطَوَاتٍ قَلِيلَةً أُخْرَى ، فَامَحَ الرَّافَ الْأَذَى حَذَرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ - مِنْ قَبْلُ - فَقَالَ لَهُ « قَيْصَرُ » بِاسْمًا :
« أَلَيْسَ هَذَا الْيَوْمَ مُنْتَصَفَ « مَارِسَ » الْأَذَى حَذَرْتَنِي لِتَاهِ ؟ »
فَقَالَ لَهُ الرَّافُ : « إِنَّ الْيَوْمَ - يَا سَيِّدِي الْقَيْصَرَ - لَمَّا يَنْتَهِي وَلَا زِلْتُ أَوْصِيكَ بِالْبِقَظَةِ وَالْحَذَرِ . »
فَقَالَ لَهُ « قَيْصَرُ » هَازِلًا :
« مَا أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى تَحذِيرِكَ ؛ فَإِنَّ « قَيْصَرَ » لَا يَخْشَى كَائِنًا كَانَ . »

٣ - ضَرَاةُ الْمُؤْتَمِرِينَ

ثُمَّ تَبَوَّأَ « قَيْصَرٌ » - سَيِّدُ الدُّنْيَا - مَجْلِسَهُ ، تَحْتَ تِمْنَالِ
« بُعْيٍ » ، وَأَحَاطَ بِهِ شُيُوخُ « رُومَةَ » .



٤ - الْأُغْنِيَةُ الْآخِرَةُ

وَأَقْتَرَبَ « بُرُوتُسُ » مِنْ صَدِيقِهِ « قَيْصَرِ » مُسْتَنْطِفًا ،
رَاجِيًا أَنْ يَقْبَلَ التَّمَنَاءَ صَاحِبِهِ ، وَيَرْجِعَ إِلَيْهِ أَخَاهُ مِنْ مَنَافَاهُ .
قَالَ لَهُ : « لَيْسَ مِثْلُ « قَيْصَرِ » مَنْ يَلِينُ لِلرَّجَاءِ ، أَوْ يَحُولُ

وَتَأَهَّبَ الْمُؤْتَمِرُونَ بِهِ ، وَاسْتَعَدُّوا لِإِقْدَارِ جَرِيمَتِهِمْ .
فَأَقْتَرَبَ أَحَدُهُمْ مِنْ « أَنْطَنِيُوسَ » - صَدِيقِ الْقَيْصَرِ الْحَمِيمِ -
وَشَغَلَهُ بِشَى الْحَدِيثِ ، وَاسْتَدْرَجَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ مَجْلِسِ « قَيْصَرِ » ؛

عَنْ عَزْمَدٍ . وما كَانَ « قَيْصَرُ » لِيَنْقُضَ الْيَوْمَ ما أُبْرِمَهُ بِالْأَمْسِ .
 ثُمَّ اسْتَأْنَفَ « قَيْصَرُ » كَلَامَهُ ، مَرْهُوًّا تَائِبًا ، وَقَالَ :
 « إِنَّ نُجُومَ السَّمَاءِ تَظْهَرُ مُؤْتَلِفَاتٍ (تَبْدُو مُضِيئَةً مُلْتَمِعَةً) ،
 وَلَكِنَّ بَيْنَهَا نَجْمًا قُطْبِيًّا يَهْدِي الْحَارِينَ ، وَيُثَبِّتُ ثَبَاتَ الرُّوَاسِي
 (الْجِبَالِ) . وَكَذَلِكَ الرُّجَالُ : يَظْهَرُونَ وَقد تَرَقَّتْ أَهْوَاؤُهُمْ ،
 وَاخْتَلَفَتْ نَزَاعَاتُهُمْ وَمَذَاهِبُهُمْ . وَلَكِنَّ « قَيْصَرَ رُومَةَ » - فِي هِمَّتِهِ
 السَّمَاءَ (الْعَالِيَةِ) - كَذَلِكَ النَّجْمِ الْقُطْبِيِّ فِي اللَّيْلَةِ الدَّجِيَاءِ
 (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ) ، فَلَا كِفَاءَ لَهُ (لَا نَظِيرَ) . وَإِنَّ « قَيْصَرَ رُومَةَ »
 لِأَلْعَمَى (قَوِيَّ الذِّكَاةِ ، صَادِقُ الْفِرَاسَةِ وَالظَّنِّ) ، وَإِنَّهُ لَذُو مَضَاءٍ
 (صَاحِبُ قُوَّةٍ وَقَازٍ) . فَإِنْ أَقْرَأَ أَمْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ صُرُوفُ الْقَضَاءِ
 (حَوَادِثُ الْأَيَّامِ) أَنْ تَرُدَّهُ عَنْهُ ، وَتَقِفَهُ دُونَهُ .
 ثُمَّ قَالَ :

« هَذِي نُجُومُ السَّمَاءِ مَشْتَوْرَةٌ فِي الْقَضَاءِ
 يَشِيعُ مِنْهَا ضِيَاءٌ فِي سَائِرِ الْأَرْجَاءِ
 تَدُورُ مُؤْتَلِفَاتٍ ، تَجْرِي لِغَيْرِ انْتِهَاءِ »

وَمِمَّا فِي الْقُطْبِ - نَجْمٌ
 بِالنُّورِ يَهْدِي الْحَيَارَى
 ثَبَّتْ ثَبَاتَ الرُّوَاسِي
 بَاقٍ بَقَاءَ السَّمَاءِ

وَفِي الرُّجَالِ أُلُوفٌ
 مِثْلُ النُّجُومِ تَرَأَتْ
 لَكِنَّ « قَيْصَرَ رُومًا »
 يَنْمُو عَلَيْهِمْ جَمِيعًا
 كَمَا طَلَعَ الْقُطْبُ يَهْدِي
 فِي اللَّيْلَةِ الدَّجِيَاءِ
 يَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
 فَمَا لَهُ مِنْ كِفَاءٍ !

لَا يَنْقُضُ النَّاسُ رَأْيًا
 الْأَلْعَمَى الْمُفَدَّى
 وَمَنْ كَـ « قَيْصَرَ رُومًا »
 إِنْ رَاحَ يُبْرِمُ أَمْرًا
 لَسِيدِ الْعَظَمَاءِ
 الْأَوْحَدِيِّ الذِّكَاةِ
 فِي عَزْمَدٍ وَمَضَاءٍ
 أَعْيَا صُرُوفَ الْقَضَاءِ !

وَأَشْتَدَّ هَيْاجُ الْمَدِينَةِ ، وَاسْتَوَلَى الذُّعْرُ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ



٥ - مَصْرَعُ « قَيْصَر »

وَكَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ آخِرَةَ حَيَاةِ « قَيْصَر » ، وَخَاتِمَةَ صَحِيفَتِهِ
فِي الْوُجُودِ ؛ فَمَا أَتَمَّهَا حَتَّى صَاحَ « كُنْكَ » نَارًا :

« تَكَلَّمِي الْآنَ ، يَا يَدَيَّ ... ! »

ثُمَّ طَعَنَهُ بِخَنَجَرِهِ طَعْنَةً نَجَلَاءَ (وَاسِعَةً) ، وَتَابَعَهُ رِفَاقُهُ بِخَنَاجِرِهِمْ .
ثُمَّ سَدَّ « بَرُوْتُسُ » طَعْنَةً إِلَى صَدْرِهِ ، فَذَهَلَ « قَيْصَرُ » مِمَّا رَأَى ،
وَقَالَ لـ « بَرُوْتُسَ » مَذْهُوًشًا :

« حَتَّى أَنْتَ يَا « بَرُوْتُسُ » ! الْآنَ يَمُوتُ « قَيْصَرُ » ! »

ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُ « قَيْصَر » : زَعِيمِ « رُومَةَ » وَسَيِّدِهَا !

٦ - شَاعَةُ الْهَوَلِ

ذُعِرَ شُيُوخُ « رُومَةَ » وَسَرَاتِنُهَا (أَغْيَانُهَا) ، وَسَوَادُ أَهْلِهَا (عَامَّةُ
شَعْبِهَا) وَجُمْهُورُ سَاكِنَيْهَا ، وَاشْتَدَّ جَزَعُهُمْ لِمَصْرَعِ « قَيْصَرِ » الْعَظِيمِ ،
وَصَاحَ الْقَتْلَةُ هَاتِقِينَ بِأَسْمِ الْحَرْبَةِ ، لِيُخَفَّفُوا وَقَعَ الْمُصَابِ عَلَى
قُلُوبِ النَّاسِ .

وَالْأَطْفَالُ جَمِيعًا ، حَتَّى سَلَبَهُمُ الْخَوْفُ عُقُولَهُمْ : فَجَرَوْا مَشْدُوهِينَ

ذَاهِلِينَ، وَصَاحُوا مِنْ فَرْطِ الْأَسَى وَالْخَوْفِ، فَمَلَأُوا الْقَصَاءَ بِصِيحَانِهِمُ الْمَفْرَعَةَ.

وَلَمْ يَجِدِ الْمُؤْتِيرُونَ - أَمَامَهُمْ - وَقْتًا يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ؛ فَاقْتَرَحَ عَلَيْهِمْ «بُرُوتَسُ» أَنْ يَشْهَرُوا سُيُوفَهُمْ، وَيَغْسُوا سَوَاعِدَهُمْ فِي دِمَاءِ «قَيْصَرَ»، هَاتَيْنِ بِالْسَّلَامِ وَالْحُرِّيَّةِ، مُتَغَنِّينَ بِمَجْدِ «رُومَةَ»، وَخَلَّاصِيهَا مِنْ نِيرِ الظُّلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ.

٧ - مَقْدَمُ «أَنْطُونْيُوسُ»

وَعَلِمَ «أَنْطُونْيُوسُ» بِمَضَرِّعِ «قَيْصَرَ». فَأَقْبَلَ عَلَى دَارِ النِّيَابَةِ مُسْرِعًا، وَتَظَاهَرَ أَمَامَ «بُرُوتَسَ» وَأَصْحَابِهِ بِقِلْعَةِ الْمُبَالَغَةِ بِمَا حَدَّثَ، وَثَبَّتَ لَهُمْ أَنَّهُ مُجَدِّدُ عَهْدِهِ وَمَوَائِقَةُ مَعَهُمْ، إِذَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُفْنِيَهُ وَبِصَوَابٍ مَا فَعَلُوهُ.

قَالَ لَهُ «بُرُوتَسُ»: «لَكَ عَلَيْنَا أَنْ نَضْرَحَ الْأَسْبَابَ الَّتِي حَفَرْنَا إِلَى الْفِتْكَ بِ «قَيْصَرَ». وَنَحْنُ وَاثِقُونَ أَنَّكَ سَتَرَى رَأْيَنَا؛ لِأَنَّ قُوَّةَ بُرْهَانِنَا، وَصِدْقَ حُجَّتِنَا: كَفِيلَانِ بِإِقْنَاعِ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَى «قَيْصَرَ» وَلَوْ كَانَ أَبْنَاهُ.»

وَنَظَرَ «أَنْطُونْيُوسُ»، فَرَأَى جَنَّةَ «قَيْصَرَ» هَامِدَةً مُضَرَّجَةً (مُطْلَخَةً) بِالْدَّمَاءِ؛ فَلَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ يَخْزَنَ عَلَى صَدِيقِهِ الْحَمِيمِ، وَيُذْرِفَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنَيْهِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَدْرَكَ خَطَرَ الْمَوْقِفِ: فَاسْتَعَصَمَ بِالْحَزْمِ وَالْجَلَدِ، وَالتَفَتَ إِلَى «بُرُوتَسَ» وَرِفَاقِهِ، وَقَالَ:

«إِذَا كُنْتُمْ حَاقِدِينَ عَلَيَّ؛ فَإِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَتُرَوْا - مِنْ دَمِي - سُيُوفَكُمْ الَّتِي فَتَكَتْ بِ «قَيْصَرَ»!»

قَالَ لَهُ «بُرُوتَسُ»: «لَنَا نَشْكُ فِي إِخْلَاصِكَ لَنَا، يَا «أَنْطُونْيُوسُ». وَمَا نَحْنُ بِسَافِحِينَ، وَلَا مُتَعَطِّشِينَ إِلَى الدَّمَاءِ. وَلَكِنَّا قَتَلْنَا «قَيْصَرَ» فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ، مُتَنْصِرِينَ - بِذَلِكَ - لِلْحُرِّيَّةِ، وَلَمْ تَقْتُلْهُ لِبُغْضِ كَايِنٍ فِي قُوَّسِنَا، أَوْ حَقْدٍ مُتَأَصِّلٍ فِي قُلُوبِنَا.»

٨ - حُطْبَةُ «بُرُوتَسَ»

قَالَ «أَنْطُونْيُوسُ»: «إِنِّي مُعَاهِدُكُمْ عَلَى الْوَفَاءِ؛ فَهَلْ تَأْذَنُونَ لِي

أَنْ أَبْكِيَهُ، وَأَرْزِيَهُ، وَأَعَدَّ مَنَاقِبَهُ (أَذْكَرَ مَحَاسِنَهُ) ؟ فَهُوَ صَدِيقُكُمْ وَلِي عَلَى السَّوَاءِ .

فَقَالَ لَهُ « بُرُوتَسُ » : « قُلْ فِيهِ مَا شِئْتَ ، بَعْدَ أَنْ أَهْدِيَّ الْجُمْهُورَ الشَّائِرَ الصَّاحِبَ ، وَأُسْكِنَ مِنْ رُوعِهِ (قَلْبِهِ) . »

وَأَنْتَحَى « كَنْيَاسُ » بِصَاحِبِهِ « بُرُوتَسَ » ، وَحَاوَلَ أَنْ يُلَبِّيَ مِنْ عَزْمِهِ عَلَى مُسَالَمَةِ « أَنْطَنِيُوسَ » ، وَيَحْذَرُهُ الْإِنْخِدَاعَ بِمَازُورَةٍ (زَيْنَةٍ) مِنْ زُخْرَفِ اقْوَالٍ (لَيِّنِ الْكَلَامِ) : فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُ « بُرُوتَسُ » قَوْلًا ، وَأَثَبَتْ لَهُ أَنَّ « أَنْطَنِيُوسَ » لَنْ يُبَيِّءَ إِلَيْهِمْ فِي خِطَابِهِ . وَخَتَمَ « بُرُوتَسُ » حِوَارَهُ قَائِلًا :

« لَنْ يَجْرُو « أَنْطَنِيُوسُ » عَلَى أَتَهَامِنَا ، وَلَنْ يَتَعَدَّى خِطَابُهُ رِثَاءَ « قَيْصَرَ » ، وَتَعْدَادَ مَنَاقِبِهِ (التَّمَدِّحَ بِخِلَالِهِ) ، وَالشَّعَاءَ عَلَى أَخْلَاقِهِ . » ثُمَّ افْتَرَقَ « بُرُوتَسُ » وَ « كَنْيَاسُ » ، لِيَخْطُبَا سَوَادَ الْجُمْهُورِ (عَامَّتَهُ) ، وَيُهَيِّدَا خَوَاطِرَهُ النَّاشِرَةَ .

واعتلى « بُرُوتَسُ » مِنْصَةَ الْخِطَابَةِ ، فَصَاحَ فِي الْحَاضِرِينَ بِصَوْتِ جَهَوْرِيٍّ (عَالٍ) ، وَأَنشَأَ يَقُولُ :

« لَقَدْ كَانَ « قَيْصَرُ » - كَمَا عَلِمْتُمْ - رَجُلًا عَظِيمًا ، كَبِيرَ الْقَلْبِ ، مَوْفُورَ الْحَظِّ ، وَلَمْ يُحِبَّهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِمَّا أَحْبَبْتُهُ أَنَا . وَلَكِنْ طَمَعَ « قَيْصَرُ » هُوَ الَّذِي أَخْطَفَنِي عَلَيْهِ وَأَغْضَبَنِي ، وَبَدَّلَ حُبِّيهِ (مَحَبَّتِي لَهُ) كَرَاهِيَةً وَمَقْتًا . لَقَدْ فَتَكْنَا بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ طَمَاعًا . لَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَسْتَعِيدَ كُفْمَ - وَأَنْتُمْ أَخْرَارٌ - فَفَرْنَا - فِي وَجْهِهِ - انْتِصَارًا لِحُرِّيَّتِكُمْ ، وَقَتَلْنَاهُ لِنُنْقِذَ كُفْمَ مِنْ نِيرِ الطُّغْيَانِ ، وَنُخَلِّصَكُمْ مِنْ بَرَاثِنِ الظُّلْمِ (أَصَابِعِهِ) . فَهَلْ أَثْمَنُا فِيمَا فَعَلْنَا ؟ إِنْ كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ قَدْ بَلَغَ بِهِ الْعُمُوقُ لَوْطَنِهِ ، وَالِاسْتِهَانَةُ بِحُرِّيَّتِهِ ، حَدَّ السُّخْطِ عَلَى مُحَارَبَةِ الْإِسْتِعَارِ وَالذُّلِّ ؛ فَلْيُكَاشِفْنَا بِرَأْيِهِ ، وَلْيَتَكَلَّمْ أَمَامَنَا ، وَلْيَتَهَمِنَا بِأَنَّا قَدْ أَثْمَنَا فِيمَا فَعَلْنَا . »

فَصَفَّقَ الْجُمْهُورُ لِلْخَطِيبِ الْبَارِعِ الْمُفَوِّهِ : « بُرُوتَسَ » ، وَأَعْجَبُوا بِصَاحَتِهِ وَقُوَّةِ حُجَّتِهِ ، وَتَعَالَى هَتَافُ الْحَاضِرِينَ بِحَيَاتِهِ .

٩ - خُطْبَةُ « أَنْطَنِيُوسَ »

وَظَهَرَ « أَنْطَنِيُوسُ » - حِينَئِذٍ - وَهُوَ يَحْمِلُ جُثَّةَ « قَيْصَرَ » .

فَأَشَارَ « بَرُوتُسُ » إِلَى الْحَاضِرِينَ أَنْ يَكْفُفُوا عَنْ هُتَافِهِمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : « الْبُشَا (اَبْقُوا) فِي أَمَا كِنِكُمْ ، لَتَسْمَعُوا رِثَاءَ « أَنْطُنْيُوسَ » لِصَاحِبِهِ ، فَقَدْ أَذِنَّا لَهُ فِي ذَلِكَ . »

ثُمَّ خَرَجَ « بَرُوتُسُ » ، وَتَرَكَ حَصَمَهُ « أَنْطُنْيُوسَ » يَخْطُبُ الْجُمْهُورَ ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّهُ سَيُلْهِبُ نَارَ ثَوْرَتِهِ ، وَيُذَكِّرُ صِرَامَ حِقْدِهِ .
وَمَا ارْتَقَى « أَنْطُنْيُوسُ » الْمِنْبَرَ حَتَّى قَالَ :

« أَصْدِقَائِي وَأَصْحَابِي أَبْنَاءَ « رُومَةَ » : أَعِيرُونِي أَسْمَاعَكُمْ ؛ فَقَدْ جِئْتُ لِأَحْتَمِلَ يَدْفِنَ « قَيْصَرَ » ، وَلَمْ أَجِئْ لِأَمْتَدِّحَ فِعَالَهُ ، وَأَنْسِي عَلَى مَزَايَاهُ ؛ فَإِنَّ عَمَلَ الْإِنْسَانِ - وَحْدَهُ - أَحْسَنُ فَنَاءَ يُخَلِّدُهُ ، وَيَرْفَعُ مَنْ قَدْرَهُ ، إِنْ كَانَ صَالِحًا . فَقَدْ حَدَّثَكُمُ « بَرُوتُسُ » أَنَّ « قَيْصَرَ » كَانَ طَمَاحًا ، وَ « بَرُوتُسُ » رَجُلٌ شَرِيفٌ . فَإِذَا صَحَّ مَا يَقُولُ « بَرُوتُسُ » ؛ فَقَدْ لَقِيَ « قَيْصَرُ » جَزَاءَهُ الْعَادِلَ ، وَاسْتَحَقَّ الْمَوْتَ ، بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنْ شُرُورٍ وَأَثَامٍ .

لَقَدْ أَذِنَ لِي « بَرُوتُسُ » فِي أَنْ أَزِيَّ « قَيْصَرَ » ، وَ « بَرُوتُسُ » رَجُلٌ شَرِيفٌ . وَقَدْ كَانَ « قَيْصَرُ » نِعَمَ الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ الْعَادِلِ الرَّحِيمِ ،



وَلَكِنْ « بُرُوتَسَ » يَقُولُ : « إِنَّ « قَيْصَرَ » رَجُلٌ طَمَاعٌ .
و « بُرُوتَسُ » رَجُلٌ شَرِيفٌ !

لَقَدْ كَانَ « قَيْصَرُ » يُفِدُّ عَلَى كَيْفِ الْمَالِ (يُبْذِرُهُ بِلا حِسَابٍ) ،
وَيَبْكِي رَحْمَةً بِالْفَتِيرِ ، وَيُؤَسِّى الضَّعِيفَ . فَهَلْ تَعْدُونَ مِثْلَ هَذَا
الرَّجُلِ طَمَاعًا ؟ وَلَكِنْ « بُرُوتَسَ » يَقُولُ : « إِنَّ « قَيْصَرَ » كَانَ
طَمَاعًا . » و « بُرُوتَسُ » رَجُلٌ شَرِيفٌ ! لَقَدْ قَدَّمْتُ التَّاجَ
! « قَيْصَرَ » - مَرَّاتٍ ثَلَاثًا - فَرَفَضَهُ « قَيْصَرُ » ، وَلَمْ
يَقْبَلْهُ . فَهَلْ كَانَ « قَيْصَرُ » طَمَاعًا ؟ وَلَكِنْ « بُرُوتَسَ » يَقُولُ :
« إِنَّ « قَيْصَرَ » كَانَ طَمَاعًا . » و « بُرُوتَسُ » رَجُلٌ شَرِيفٌ !
لَسْتُ أَكْذِبُ « بُرُوتَسَ » فِيمَا يَقُولُ ، وَلَكِنِّي أَكْتَفِي بِتَقْرِيرِ
مَا أَعْرِفُهُ - وَتَعْرِفُونَهُ - عَنْ « قَيْصَرَ » :

لَقَدْ أَحْبَبْتُمْ « قَيْصَرَ » - كَمَا أَحْبَبْتُمْ - فَلِمَاذَا أَخْبَبْتُمُوهُ ،
وَأَخْلَصْتُمْ لَهُ ، وَهَنَقْتُمْ بِاسْمِهِ ؟ وَكَيْفَ لَا تَبْكُونَ الْيَوْمَ مُضَرَّعَ مَنْ
أَخْبَبْتُمُوهُ وَأَحْبَبْتُمْ ؟ هَاهِيَ ذِي وَصِيَّةٍ « قَيْصَرَ » ، الَّتِي أَوْدَعَهَا
حُبُّهُ وَإِخْلَاصُهُ لَكُمْ ؛ فَأَوْ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا تَحْوِيهِ ! إِذَنْ لَمَزَقَ الْأَسَى

قُلُوبَكُمْ ، وَقَطَعَ الْخَزْنَ أَفْتَدَكُمْ ! ! !

١٠ - وَصِيَّةُ « قَيْصَرَ »

وَمَا وَصَلَ « أَنْطُونْيُوسُ » إِلَى هَذَا الْحَدِّ مِنْ خُطْبَتِهِ ، حَتَّى تَهْدَجَ
صَوْتُهُ (ضَعُفَ وَارْتَعَشَ) ، وَبَكَى : فَاسْتَبَكَى سَامِعِيهِ ، وَصَاحُوا
جَمِيعًا ، يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ وَصِيَّةَ « قَيْصَرَ » .
فَقَالَ « أَنْطُونْيُوسُ » : « كَلَّا ، لَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا ، فَإِنِّي أَشْفِقُ
(أَخَافُ) عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْقَطَعَ قُلُوبُكُمْ حُزْنًا ، وَتَذُوبَ أَكْبَادُكُمْ
أَسَى ، مَتَى سَمِعْتُمْ وَصِيَّةَ « قَيْصَرَ » ! »

فَصَاحَ بِهِ الْحَاضِرُونَ هَاتِفِينَ : « الْوَصِيَّةُ ! الْوَصِيَّةُ ! لَا بُدَّ أَنْ
تُسْمِعَنَا وَصِيَّةَ « قَيْصَرَ » ! »

فَقَالَ « أَنْطُونْيُوسُ » : « إِذَا شِئْتُمْ أَنْ تَسْمَعُوا مِنِّي وَصِيَّةَ
« قَيْصَرَ » فَعَالُوا - أَتَيْهَا الْإِخْوَانُ - وَالتَّفَوُّوا حَوْلَ جُثَّةِ عَظْمَيْنَا الرَّاحِلِ ،
لَأُرِيَكُمْ مَاذَا فَعَلَ أَصْحَابُ « قَيْصَرَ » : صَاحِبِ الْوَصِيَّةِ . »

ثُمَّ تَرَكَ « أَنْطُونْيُوسُ » الْمِنْبَةَ ، وَرَفَعَ عِبَاءَهُ « قَيْصَرَ » الَّتِي

ارْتَدَاهَا يَوْمَ انْتِصَارِهِ الْمَجِيدِ ، ثُمَّ قَالَ :

« لَيْسَ لِي مِثْلُ فَصَاحَةِ « بُرُوتَسَ » وَلِبَاقَتِهِ ، وَظَرْفِهِ وَفِطْنَتِهِ .
وَلَكِنْ حَسْبِيَ أَنْ أَنْهِيَ إِلَيْكُمْ فَضْلَ الْخِطَابِ (الْقَوْلُ الْحَاسِمُ) ،
حِينَ أُرِيكُمْ جِرَاحَ « قَيْصَرَ » الْعَظِيمِ ، الَّذِي أَخْلَصَ لَكُمْ الْإِخْلَاصَ
كُلَّهُ ، وَمَحَضَكُمْ (أَصْنَى لَكُمْ) الْحُبَّ وَالْوَلَاءَ . فَإِنَّ هَذَا الْجِرَاحَ
وَحْدَهَا لَتَنْطِقُ بِأَبْلَغِ لِسَانٍ ، فَتَتَبَرُّ شَكَاوَاهَا صَمَّ الْجَمَادِ ، وَتَحْرَكَ
أَحْجَارَ « رُومَةَ » جَمِيعًا . أَنْظَرُوا إِلَى هَذَا الْجُرْحِ الدَّامِي ، تَرَوْا
طَعْنَةَ « كَنُكَ » ، وَتَرَوْا إِلَى جَانِبِهَا طَعْنَةَ « بُرُوتَسَ » : الصَّدِيقِ
الْحَسِيبِ إِلَى نَفْسِ « قَيْصَرَ » ، وَالصَّبِيِّ الْوَفِيِّ الَّذِي اخْتَارَهُ « قَيْصَرُ » !
وَهَا هِيَ ذِي طَعْنَتِي الطَّمَنَاتِ الَّتِي مَزَقَتْ قَلْبَهُ الشُّجَاعُ ! »

وَمَا بَلَغَ « أَنْطُونْيُوسُ » هَذَا الْحَدَّ مِنْ خُطْبَتِهِ ، حَتَّى نَارَ الشَّعْبُ ،
وَأَسْتَوَلَى عَلَيْهِ النَّصَبُ ، وَغَمَرَتْهُ مَوْجَةٌ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّبِطِ .
فَصَاحَ الْجَمْعُ مُتَحَاجِينَ : « الْوَيْلُ ! » « بُرُوتَسَ » وَرِفَاقِهِ . أَمَا وَاللَّهِ
لَتُرْزَلَنَّ دَارُهُ ، وَلَتَحْرَقَنَّ أَصْحَابُهُ الْغَادِرِينَ ! »

قَالَ « أَنْطُونْيُوسُ » : « أُنَافَةٌ وَمَهْلًا - يَا بَنِي وَطَنِي - وَصَبْرًا ،

فَإِنَّكُمْ لَمَّا تَسْمَعُوا وَصِيَّةَ « قَيْصَرَ » ! »

فَصَاحُوا : « الْوَصِيَّةُ ! الْوَصِيَّةُ ! صَدَقَتْ - أَيُّهَا النَّبِيلُ -

فَاتْلُ عَلَيْنَا وَصِيَّةَ « قَيْصَرَ » ! »

قَالَ « أَنْطُونْيُوسُ » : « هَا كُمْ اقْرَأُوا وَصِيَّتَهُ ، وَعَلَيْهَا خَاتَمُهُ ،
وَانظُرُوا مَا تَحْوِيهِ . اسْمَعُوا مَا كَتَبَهُ لَكُمْ . قَدْ وَهَبَ لَكُمْ - فِي
هَذِهِ الْوَصِيَّةِ - كُلَّ مَا يَمْلِكُ مِنْ مَالٍ ، وَأَوْرَثَكُمْ فِيهَا كُلَّ
مَا فِي حِوْزَتِهِ مِنْ خَدَائِقَ وَمُسْتَرْهَاتٍ ! هَذَا هُوَ « قَيْصَرُ » الَّذِي
عَدَرُوا بِهِ ؛ فَهَلْ يَجُودُ الزَّمَنُ بِمِثْلِهِ ؟ »

فَصَاحُوا مَحْزُونِينَ :

« كَلَّا ، كَلَّا ! فَإِنَّ الدَّهْرَ بِمِثْلِهِ لَصَنِينٌ (بَحِيلٌ) ! »

١١ - مَقْدَمُ « أُسْكَنْدِيُوسَ »

وَهَكَذَا أَفْلَحَ « أَنْطُونْيُوسُ » فِي إِثَارَةِ الْجُمْهُورِ ، وَالْهَابِ نَارِ
الثَّوْرَةِ ؛ لِيُصْنِيَ (لِيُخْرِقَ) بِهَا أَعْدَاءَ « قَيْصَرَ » . فَاذْفَعْ سَوَادَ
الرُّومَانِيِّينَ (عَامَتَهُمْ) ؛ لِيَفْتِكُوا بَنَاتِي « قَيْصَرَ » وَأَنْصَارِهِ .

وَتَمَّةَ ارْتَاخِ « أَنْطُنْيُوسُ » ، وَتَنَفَّسَ الصُّمَدَاءُ (وَالصُّمَدَاءُ :
التَّنَفُّسُ الطَّوِيلُ مِنْ هَمْزٍ أَوْ تَعَبٍ) ، وَقَدِرَ اطمَآنَ قَلْبُهُ ، بَعْدَ أَنْ
أَذْرَكَ مَا يَزِمِي إِلَيْهِ مِنْ تَأْلِيلِ الْجُمْهُورِ عَلَى خُصُومِهِ وَأَعْدَائِهِ .
وَسُرْعَانَ مَا وَثَى « بُرُوتُسُ » وَ« كَنْيَاسُ » فِرَارًا مِنَ الثَّائِرِينَ ،
وَخَرَجَا مِنَ الْمَدِينَةِ هَاتِمِينَ عَلَى وَجْهِمَا (سَائِرِينَ عَلَى غَيْرِ هُدًى ،
لَا يَعْلَمَانِ لِهَما وَجْهَةً) .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، عَلِمَ « أَنْطُنْيُوسُ » بِمَقْدَمِ صَدِيقِهِ « أُكَنْفِيُوسَ »
إِلَى « رُومَةَ » ؛ فَأُضِنَ - حِينَئِذٍ - بِالْإِنْتِصَارِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ،
وَحَمِيدَ اللَّهِ عَلَى مَقْدَمِ « أُكَنْفِيُوسَ » فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْحَرِجَةِ
(الْخَطِيرَةِ) ؛ لِتَمَّ عَلَى يَدَيْهِمَا هَزِيمَةُ الْقَتْلَةِ الْفَارِسِينَ .

الفصل الرابع

١ - لِقَاءُ الصَّدِيقَيْنِ

لَمْ يُصِغْ « أَنْطُنْيُوسُ » شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ سُدًى (بِإِلَافَةِ) ،
بَلْ أَسْرَعَ إِلَى لِقَاءِ صَدِيقِهِ « أُكَنْفِيُوسَ » ، وَأَقْصَى إِلَيْهِ بِكُلِّ
مَا حَدَثَ فِي أَثْنَاءِ غَيْبَتِهِ عَنْ « رُومَةَ » . وَدَارَ بَيْنَهُمَا حِوَارٌ طَوِيلٌ ،
ثُمَّ اجْتَمَعَ رَأْيَاهُمَا عَلَى أَنْ يُسْرِعَا إِلَى حَشْدِ جَيْشٍ عَظِيمٍ - مِنْ
أَنْصَارِهِمَا - لِمُهَاجَمَةِ « بُرُوتُسَ » وَ« كَنْيَاسَ » اللَّذَيْنِ نَشِطَا إِلَى
النُّضَالِ ، وَأَسْرَعَا إِلَى الْقِتَالِ ، وَجَمَعَا حَوْلَهُمَا جَيْشًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَأْثُرَا
جُهْدًا (لَمْ يُفْضِرَا) فِي جَمْعِ أُلُوفٍ مُؤَلَّفَةٍ - مِنَ الْجُنُودِ - لِيَغْزُوا
أَصْحَابِ « قَبْصَرِ » ، وَالْقَضَاءُ عَلَى كُلِّ مَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِالْإِنْتِصَارِ
لِعَظِيمِ « رُومَةَ » الرَّاحِلِ .

فَأَقْرَأَهُ « أُكَنْفِيُوسُ » عَلَى رَأْيِهِ ، وَأَعَدَّ عُدَّتَهُ ، وَجَمَعَ جَيْشَهُ ،
وَسَارُوا مُجِدِّينَ ؛ لِيَسْكُلُوا بِالْفَارِسِينَ ، وَيَتَأَرَّوْا ! « قَبْصَرَ »
(يَلْتَمِعُوا لَهُ) مِنْ قَاتِلِيهِ .

٢ - بَيْنَ « بروتس » وَ« كُنْيَاس »

وَنَسِبَ خِلَافُ (نَارَ. وَاشْتَبَكَ) بَيْنَ « كُنْيَاس » وَ« بروتس » ،
فَكَادَتْ تَذْهَبُ رِيحُهَا (كَادَا يَفْنِيَانِ) ، وَأَوْثَكَ الْخِلَافُ أَنْ
يَقْضَى عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْمَصِيبِ (الشَّدِيدِ) . وَكَانَ مَبْعَثُ
هَذَا الْخِلَافِ أَنَّ « بروتس » قَدْ أَمَرَ عَلَى مُعَاقِبَةِ أَحَدِ أَنْصَارِ
« كُنْيَاس » لِأَعْوِجَاجِ سَيْرِهِ ، وَقَبُولِهِ الرُّشُوءَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ « كُنْيَاسُ »
مُنْتَفِعًا فِيهِ ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ « بروتس » شَفَاعَتَهُ . فَأَسْرَهَا « كُنْيَاسُ »
فِي نَفْسِهِ ، وَقَبَضَ يَدَهُ عَنْ إِمْدَادِ « بروتس » بِالْمَالِ . فَلَمَّا اتَّصَقَ
الصَّدِيقَانِ ، بَدَأَ « كُنْيَاسُ » صَدِيقَهُ « بروتس » بِالْعِتَابِ لِرَفْضِ
شَفَاعَتِهِ .

قَالَ لَهُ « بروتس » : « مَا كَانَ أَجْدَرَكَ أَنْ تُبْعِدَ نَفْسَكَ عَنْ
مَوَاطِنِ الرَّيْبِ (أَمَا كُنِيَ التَّهْمِ) ، فَلَا تُعْرِضْهَا لِلشَّفَاعَةِ فِي مِثْلِ هَذَا
الْأَثِيمِ الْمُرْتَشِي ! »

قَالَ لَهُ « كُنْيَاسُ » : « مَا كَانَ أَجْدَرَكَ أَنْ تَتَغَاضَى (تَتَسَمَّحَ)

عَنِ الْمُحَاسَبَةِ عَلَى الصَّغَائِرِ ، وَالْعِقَابِ عَلَى الْهَوَاتِ (الذُّنُوبِ الْيَسِيرَةِ)
فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمَصِيبَةِ ! »

فَقَالَ « بروتس » : « إِنَّ مِثْلِي خَلِيقٌ بَآنٌ يَرِنَ بِالْفِتْنِطَاسِ الْمُنْتَحِمِ
(الْمِيزَانِ الْعَادِلِ) ، وَأَنْ يُعَاقَبَ الْمُسَى عَلَى إِسَاءَتِهِ ، وَيَجْزَى الْمُخْسِنَ عَلَى
إِحْسَانِهِ . وَلَكِنَّكَ تَتَغَاضَى عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الرِّزَالَتِ (السَّقَطَاتِ وَالطَّلَاطِ)
لَأَنَّكَ مُلَوِّثُ الْيَدِ ، مُتَمَهِّمٌ بِإِسْنَادِ الْمُنَاصِبِ الرَّفِيعَةِ إِلَى غَيْرِ الْأَكْفَاءِ
الْمُسْتَحْقِينَ ، طَمَعًا فِي مَالِهِمْ ، وَاسْتِجْلَابًا لِرِفْدِهِمْ (طَلَبًا لِمَا يُعْطَوْنَهُ
إِيَّائَكَ مِنَ الْمَطَايَا) . »

قَالَ « كُنْيَاسُ » : « أَلَيْسَ يُقَالُ هَذَا الْكَلَامُ ؟ أَتَقْبَلُ فِي
نَزَاهَتِي مَطْعَنًا ؟ أَمَا - وَاللَّهِ - لَوْ قَالَهَا غَيْرُكَ لَكَانَ لِي مَعَهُ شَأْنٌ
آخَرُ ، وَلَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ (فَمِهِ) ! »

فَقَالَ « بروتس » : « أَمَا - وَاللَّهِ - لَوْ غَيْرُ « كُنْيَاس »
اقْتَرَفَ (ارْتَكَبَ) مِثْلَ هَذَا الْإِثْمِ ، لَأَسْتَحَقَّ مِنِّي أَعْدَلَ الْقِصَاصِ
(الْجَزَاءِ وَالْعُقُوبَةِ) . »

فَصَاحَ « كُنْيَاسُ » : « هَلْ بَلَغَ الْأَمْرُ حَدَّ الْقِصَاصِ ؟ »

قَالَ « بَرُّوسُ » : « أَنْسَيْتَ مُنْتَصَفَ مَارِسَ ؟ خَبَرْنِي : فِي
أَيِّ سَبِيلٍ قَتَلْنَا « قَيْصَرَ » ؟ أَلَيْسَ فِي سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ
قَتْلُهُ ؟ فَكَيْفَ نَقْتُلُ سَيِّدَ « رُومَةَ » وَنَفْتِكُ بِهِ ، مِنْ أَجْلِ
ذَنْبِ نَفَرِهِ لِيَمْلِكَ وَلِيَمْلِكَ قَوَادِكِ الْمُرْتَشِينَ ؟ قُلْ لِي : كَيْفَ
أَتَنَاضَى عَنِ اللُّصُوصِ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْأَثَمَةِ ، وَأَخُونُ وَطَنِي ، وَأَخْفِرُ
عَهْدِي (أَقْضِيهِ) ، وَأَعُوْ ضَمِيرِي ؟ خَبَرْنِي : كَيْفَ أَقْبَلُ شَفَاعَتَكَ
فِي مُجْرِمٍ أَتِيهِ ؟ إِنِّي لَا وَفِرُ أَنْ أُمْسَحَ كَلْبًا عَلَى أَنْ أَكُونَ
رُومَانِيًّا آمِنًا ! »

قَالَ « كَسْيَا » : « أَلَا لَا تَحَاوِلَنَّ أَنْ تَأْخُذَنِي بِمِثْلِ هَذِهِ
الْمَبَارَاتِ الْخَادِعَةِ ، وَتَسْخَرَنِي بِتِلْكَ الْأَسَالِيبِ الْخَلَابَةِ ! فَإِنِّي لَنْ
أَحْتَمِلَ مِنْكَ هَذِهِ الْإِهَانَةَ ، وَلَنْ أَصْبِرَ عَلَى تَطَاوُلِكَ بَعْدَ الْآنِ !
أَنْسَيْتَ أَنَّنِي أَقْدَمُ مِنْكَ عَهْدًا بِالْجُنْدِيَّةِ ، وَأَوْفَرُ مِنْكَ تَجَرِبَةً ؟
فَكَيْفَ تُلْصِقُ بِي مِثْلَ هَذِهِ الشَّنْعِ (الْفَضَائِحِ) ؟ »

قَالَ « بَرُّوسُ » :

« أَفْصِرْ (كُفْ عَنْ الْكَلَامِ) ، فَمَا أَنْتَ بِذَلِكَ ! »

قَالَ « كَسْيَا » : « حَذَارِ أَنْ تَمْتَحِنَ صَبْرِي ، يَا « بَرُّوسُ » !
فَمَا أَنَا بِغَايِرِ لَكَ إِسَاءَةٍ بَعْدَ هَذِهِ . وَمَا أَجْدُكَ أَنْ تُؤْثِرَ
السَّلَامَةَ وَالْعَاقِبَةَ ! »
قَالَ « بَرُّوسُ » :

« مَا أَخْفَرَ وَعِيدَكَ ، وَمَا أَعْجَزَكَ عَنْ تَحْقِيقِ هَذَا الْهَدْيَانِ ! »

٣ - حِوَارُ صَاحِبِ

وهنا ثارَ « كَسْيَا » ، واشتدَّ غَيْظُهُ ، وَنَشِبَتْ مُلَاحَاةٌ (ثَارَتْ
مُشَافَهَةٌ) صَاحِبَتُهُ بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ . قَالَ « كَسْيَا » مُتَهَاجًا :
« كَيْفَ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ ، وَزَيْنَ لَكَ الْفُرُورُ أَنْ تَرْكَبَ هَذَا الْمَرْكَبَ
الْوَعَرَ (الصَّعْبَ) ؟ إِنِّي لَا أَكَاذُ أُسَدِّقُ مَا تَسْمَعُهُ أُذُنَايَ ! »

قَالَ « بَرُّوسُ » : « خُذْهَا كَلِمَةً حَاسِمَةً : إِنْ رَأَيْتَ أَفْرَقُ (أَتَطَّشُنِي
أَخَافُ) وَأَجْزَعُ إِصْخَبَ أَحْمَقَ ، أَوْ هَدْيَانِ مَجْنُونٍ ؟ »

قَالَ « كَسْيَا » : « يَا لَلَّهِ ! كَيْفَ أَحْتَمِلُ هَذِهِ الْجُرْأَةَ ؟ »

قَالَ « بُرُوتْسُ » : « مَا أَجْدَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ أَضْغَافَ مَا سَمِعْتَ ،
حَتَّى تَتَشَقَّ مَرَارَتُكَ عَظِيظًا ، وَيَنْفَطِرَ قَلْبُكَ حُزْنًا ! وَمَا أَذْهَبِي :
كَيْفَ سَوَّلْتَ (زَيْنَتُ) لَكَ قَسْكَ أَنْ تُفَاحِرَنِي وَتُكَابِرَنِي مِنْ غَيْرِ
أَنْ تَخْشَى عَاقِبَةَ هَذَا الطَّبِيسِ ؟ أَلَمْ يَكُنْ أَحْبَبِي (أَجْدَرُ وَأَوَّلِي) بِكَ ،
وَأَهْدَى لَكَ : أَنْ تَرْعَدَ وَتُثَوِّرَ عَلَى خَدَمِكَ وَأَرْقَانِكَ ؟ إِنَّكَ
- لَوْ قَعَلْتَ - لَرَأَيْتَ فَرَاثَهُمْ تَرْتَعِدُ ، خَوْفَ هَدِيدِكَ ، وَرَهْبَةً
وَعِيدِكَ (وَالْقَرَائِصُ : هِيَ مَا يَبِينُ الْجُنُوبِ وَالْأَكْنَافِ) . أَمَّا أَنَا
فَلَا تَخِذْ لَكَ - مُنْذُ الْآنَ - ضُحْكَةً (وَهُوَ مَا يُضْحِكُ مِنْهُ) ،
وَلَا لَهْوَنَ بِكَ مَا حَسِبْتُ ؛ لِأَتَفَكَّهُ بِخَصْبِكَ ، وَأَرْوِّحَ عَنْ نَفْسِي
بِإِبْلَامِكَ وَتَغْيِصِ عَيْنِكَ ! »

قَالَ « كَسْيَاسُ » : « مَا أُرَاكَ إِلَّا مُتَمَادِيًا فِي الْإِسَاءَةِ ! »

قَالَ « بُرُوتْسُ » : « لَقَدْ فَاحِرْتَنِي بِأَنَّكَ أَجْلَدُ مِنِّي عَلَى الْقِتَالِ
وَأَقْوَى ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ أَخْبَرُ بِالْحَرْبِ وَأَذْهَى ؛ فَهَلَّا حَقَّقْتَ مَا زَعَمْتَ
وَأَرَبْنِي كَيْفَ بَصْرُكَ بِالْعِرَاكِ ، وَمَعْرِفَتُكَ بِالْمُحَارَبَةِ ؟ »

قَالَ « كَسْيَاسُ » : « مَا أَكْثَرَ مَا تَجَنَّبَنِي عَلَى ، يَا « بُرُوتْسُ »

(مَا أَكْثَرَ مَا تَلَسَّبُ إِلَيَّ مِمَّا لَمْ يَقَعْ مِنِّي) ! فَقَدْ قُلْتَ لَكَ : إِنِّي
أَقْدَمُ عَهْدًا ، وَأَوْفَرُ تَجَرِبَةً ، وَلَمْ أَقُلْ : إِنِّي أَشْجَعُ مِنْكَ وَأَقْدَرُ .
قَالَ « بُرُوتْسُ » : « لَوْ قُلْتَهَا لَمَا أَبْهَتْ لَكَ (لَمَّا اهْتَمَمْتُ بِكَ) ،
وَلَا أَقَمْتُ لِمَا تَقُولُ وَزَنَّا ! » قَالَ « كَسْيَاسُ » : « إِنْ « قَيْصَرُ »
نَفْسُهُ مَا كَانَ لِيَجْتَرِيَّ عَلَى - فِي حَيَاتِهِ - فَيَفْعَلَ مِثْلًا مَا فَعَلْتَ ! »
قَالَ « بُرُوتْسُ » : « هَوْنٌ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَتَجَرَّوْ عَلَى اسْتِثَارَةِ
« قَيْصَرِ » وَإِغْضَابِهِ ، وَلَوْ عَرَّضَ حَيَاتَكَ لِلتَّلَفِ . »

قَالَ « كَسْيَاسُ » : « إِنْ لِكُلِّ بَدَايَةٍ نِهَايَةٌ ، وَإِنْ لِلْحِلْمِ غَايَةٌ
لَا سَبِيلَ إِلَى تَجَاوُزِهَا . وَمَا أَخَوَنِي أَنْ أَقْدِمَ عَلَى أَمْرِ جَلِيلٍ
(عَظِيمٍ خَطِيرٍ) أُنْذِمُ عَلَيْهِ بَعْدُ ! »

قَالَ « بُرُوتْسُ » : « لَا عَلَى (لَا خَيْرَ وَلَا خَوْفَ مِنْ وَعِيدِكَ) ،
فَإِنِّي - بِعَالِي مِنَ الشَّرَفِ وَالشَّرَافَةِ - لِنِي حِصْنِ حَصِينٍ ، وَلَنْ يَبْلُغَ
وَعِيدُكَ مِنِّي إِلَّا مَا تَبْلُغُ الرِّيحُ مِنَ ذُرْوَةِ الْجَبَلِ ! أَتَذْكُرُ كَيْفَ
صَنَنْتَ عَلَى بِالْمَالِ أَتَقَفَّهُ عَلَى جَيْشِي ؟ »

قَالَ « كَسْيَاسُ » : « مَا أَذْكُرُ أَتُنِي صَنَنْتَ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ »

مِمَّا تَطْلُبُ، وَلَسَكُنَّهَا حِمَاقَةُ الرَّسُولِ، وَأَفَنُ رَأْيِهِ (سُوهُ تَذْيِيرِهِ).
وَمَا كَانَ أَجْدَرَكَ - إِنْ كُنْتَ صَدِيقًا - أَنْ تَغْفِرَ لَصَدِيقِكَ هُنَوَاتِهِ،
وَتَجَاوَزَ عَنْ إِسَاءَاتِهِ؛ فَإِنَّ عَيْنَ الْحُبِّ عَمِيَاءٌ، لَا تَنْظُرُ إِلَى الْمَسَاوِي
وَالْمُيُوبِ. « قَالَتْ « بُرُوتُسُ » :

« إِنَّ عَيْنَ الرِّيَاءِ وَالنَّفَاقِ هِيَ - وَحْدَهَا - الَّتِي تَعْمَى عَنِ الْغَلَطِ،
وَلَا تَرَى الْمُيُوبَ، وَلَوْ عَظُمَتْ حَتَّى أَصْبَحَتْ مِثْلَ الْجَبَلِ. »

٤ - صَلُحَ الصَّدِيقَيْنِ

قَالَ « كَنْيَاسُ » مُتَأَلِّمًا: « هَلَمْ يَا « أَنْطَنِيُوسُ » وَيَا « أَكْتَفِيُوسُ »،
وَتَعَالَيَا إِلَى « كَنْيَاسِ »، فَانْتَلَاهُ، وَأَزْهَقَا رُوحَهُ؛ فَقَدْ مَلَّ الْبَقَاءُ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، بَعْدَ أَنْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ قَلْبُ صَفِيهِهِ الْحَبِيبِ « بُرُوتُسِ »،
وَتَنَكَّرَ لَهُ أَوْفَى النَّاسِ، وَأَبْرَهُمْ بِهِ.

أَلَا لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ - أَيُّهَا الصَّدِيقُ - بَعْدَ أَنْ فَسَدَ مَا بَيْنَنَا
مِنْ حُبٍّ وَإِخْلَاصٍ. فَمَا هَاكَ خِنْجَرِي، فَأَعْمِدْهُ فِي قَلْبِي، وَأَرِخْنِي مِنْ
هَذِهِ الْحَيَاةِ ! »

فَهَشَّ لَهُ « بُرُوتُسُ » وَبَشَّ، وَقَالَ لَهُ: « أَغْمِدْ خِنْجَرَكَ - أَيُّهَا
الصَّدِيقُ - فَإِنِّي مُتَجَاوِزٌ لَكَ عَنْ كُلِّ مَا حَدَثَ، وَمُعْتَذِرٌ لَكَ مِنْ
كُلِّ إِسَاءَةٍ بَدَرْتُ مِنِّي. وَلَتَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ قَلْبِي لَا يَحُولُ حَقْدًا
وَلَا ضِيغًا: فَهُوَ كَالزُّنْدِ: إِذَا أَوْرَثَتْهُ (قَدَحَتْ بِهِ لِتُخْرِجَ نَارُهُ)
أُرْسِلَ شَرَارَةٌ ضَلِيلَةٌ الْخَطَرِ (حَقِيرَةُ الشَّانِ)، ذَاهِبَةٌ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ
لَا يَلْبَثُ الزُّنْدُ أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ. »

وَهَكَذَا تَصَافَحَ الصَّدِيقَانِ. وَعَادَ إِلَى قَلْبَيْهِمَا الصَّفَاءُ، وَشَدَّ كُلُّ
وَنُهَا عَلَى يَدِ الْآخَرِ، مُجَدِّدَيْنِ الْعَهْدَ عَلَى الْوَفَاءِ.

وَقَدْ حَزَنَ « كَنْيَاسُ » حِينَ أَخْبَرَهُ « بُرُوتُسُ » أَنَّ مَبْعَثَ آلامِهِ
وَحَقِيقَةِ عَلَيْهِ، مَا بَلَغَهُ عَنْ مَصْرَعِ زَوْجِهِ « بُرْشَا ». فَقَدْ عَلِمَ
- فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - أَنَّ غِيَابَهُ قَدْ أَضَتْ جِسْمَهَا، وَأَذْهَلَهَا مَا رَأَتْهُ
مِنْ تَأَلِّبِ أَغْدَائِهِ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ؛ فَتَلَّتْ نَفْسَهَا إِشْفَاقًا عَلَى
« بُرُوتُسِ »، حَتَّى لَا تَرَى - بِعَيْنَيْهَا - مَصْرَعَهُ الْوَشِيكَ.

فَشَارَكَهُ « كَنْيَاسُ » فِي حُزْنِهِ، وَأَسَاءَ فِي مُصَابِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:
« لَمْ يَبْنِ أَمَانًا إِلَّا الْجِدُّ وَالْإِقْدَامُ، حَتَّى لَا يَذْهَبَنَا الْأَغْدَاءُ. »

ثُمَّ وَدَّعَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، عَلَى أَنْ يَلْتَقِيَا فِي الْقَدْرِ .

٥ - - طَيْفُ « قَيْصَرَ »

وَقَضَى « بَرُوتُسُ » لَيْلَةً مُفْرَعَةً ، مُسْتَسْلِمًا لِأَشْجَانِهِ ، وَهُمُومِهِ وَأَحْزَانِهِ . وَإِنَّهُ لَغَارِقٌ فِي وَسْوَيسِهِ يُقَلِّبُ بَعْضُ أَوْرَاقِهِ ، إِذْ لَاحَ أَمَامَهُ شَيْخُ « قَيْصَرَ » فِي هَيْئَةِ مُرْجِعَةٍ ؛ فَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ ،



وَسَلَكَهُ الْعَجَبُ مِمَّا رَأَى ، وَصَاحَ فِيهِ مَذْعُورًا : « أَيُّ طَيْفٍ أَنْتَ ؟
قَدْ أَرَعَجْتَنِي ، وَكَأَدَ يَجْعُدُ الدَّمُ فِي عُرُوقِي لِرُؤْيَيْكَ . »

فَقَالَ لَهُ الطَّيْفُ : « لَسْتُ إِلَّا رُوحَكَ الْخَاشِعَةَ ، يَا « بَرُوتُسُ » ! »

فَقَالَ لَهُ وَجَلًا : « فَمَا بِأَلَاكَ تَرُورُنِي الْآنَ ؟ »

فَقَالَ لَهُ طَيْفُ « قَيْصَرَ » :

« إِنَّمَا زُرْتُكَ لِأَخْبِرَكَ بِأَنَّ لِقَاءَنَا وَشَيْكَ (قَرِيبٌ) . »

ثُمَّ اسْتَخْفَى شَيْخُ « قَيْصَرَ » عَنْ نَاضِرِهِ . فَصَاحَ « بَرُوتُسُ » :

فَرَعَارَاهِبًا : فَانْتَبَهَ خَادِمُهُ مَذْعُورًا مَرْعُوبًا . وَسَأَلَ لَهُ عَنْ سَبَبِ صِيَابِهِ .

فَقَالَ لَهُ « بَرُوتُسُ » : « لَسْتُ أَذْكَرُ أَنَّني صِحْتُ ، وَلَعَلَّكَ

حَالِمٌ فِي هَذَا : فَخَبَّرَنِي : هَلْ أَبْصَرْتَ فِي مَنَامِكَ طَيْفًا ؟ »

• • •

فَقَالَ لَهُ خَادِمُهُ :

« كَلَّا يَا سَيِّدِي ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا . »

فَقَالَ لَهُ « بَرُوتُسُ » :

« لَا عَلَيْكَ ، فَادْهَبِ الْآنَ إِلَى « كَنَاسِ » ، وَأَطْلُبْ إِلَيْهِ

أَنْ يُبَكِّرَ فِي زَحْفِهِ ، صَبَاحَ الْقَدْرِ : لِأَنَّنِي قَدْ اغْتَرَمْتُ مُهَاجِمَةَ الْأَعْدَاءِ

فِي إِثْرِهِ ، وَإِنَّا عَلَيْهِمْ لَمُنْتَصِرُونَ ! »

وَلَا تَأْكُونُ جُهْدًا فِي تَمْلِيْقِهِ وَالتَّزَلُّفِ إِلَيْهِ .

فَلَجَابُهُ « كُنْيَا » : « لَوْ أَنَّ « بُرُوتَسَ » أَخَذَ بِرَأْيِي فِي قِتْلِكَ - بَعْدَ أَنْ أَهْلَكْنَا « قَيْصَرَ » - لَأَسْكَنْتَا لِسَانَكَ السَّلِيْطَ (الطَّوِيلَ) ، وَارْتَحْنَا مِنْ مُبَاهَاةِكَ الْجَوَاةِ (الْفَارِغَةِ) . عَلَى أَنَّ السَّيْفَ كَقِيلٍ بِالْقَضَاءِ بَيْنَنَا جَيْسًا ، وَهُوَ قَاضٍ عَادِلٌ ، لَا يُرَدُّ لَهُ حُكْمٌ ، وَلَا يُنْقَضُ لَهُ أَمْرٌ .

٢ - هَزِيمَةُ « أَكْتَفِيُوسَ »

وَطَالَ الْحَوَارِثُ بَيْنَ الْمُتَنَاطِرِينَ : فَاْمَشَقُوا سُيُوفَهُمْ (شَهَرُوهَا) . وَالتَّقَتِ الْجَيْشُ ، وَاسْتَبَسَلَ جُنُودُ الْقَرِيقَيْنِ ، وَالتَّحَمَّ جَيْشُ « بُرُوتَسَ » بِجَيْشِ « أَكْتَفِيُوسَ » فِي مَيْدَانٍ ، وَالتَّقَى جَيْشُ « أَنْطُونِيُوسَ » بِجَيْشِ « كُنْيَا » فِي مَيْدَانٍ آخَرَ .

وَكَانَتِ الْقُوَى مُتَكَافِئَةً - فِي أَوَّلِ الْمَعْرَكَةِ - وَالْعَصْرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْقَرِيقَيْنِ . ثُمَّ رَجَحَتْ - فِي مِيزَانِ الْقِتَالِ - كِفَةُ

خاتمة القصة

١ - قُبَيْلَ الْمَعْرَكَةِ

التَّقَى الْجَيْشَانِ فِي سُهُولٍ « فِيلِي » ، وَتَحَفَزَ الْجَمْعَانِ لِلِلِاشْتِيَاكِ فِي الْمَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ ، وَالْقَضَاءِ عَلَى الْعَدُوِّ قَضَاءً مُبْرَمًا ، لَا تَقُومُ لَهُ قَائِمَةٌ مِنْ بَعْدِهِ . وَتَشَاوَرَ « أَنْطُونِيُوسَ » وَ « أَكْتَفِيُوسَ » فِي خُطَّةِ الْحَرْبِ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَرَّرَ رَأْيُهُمَا عَلَى أَنْ يَنْحَازَ أَحَدُهُمَا (يَرْتَدُّ وَيَسِيلُ) إِلَى يَمِينِ السَّهْلِ ، وَيَذْهَبَ الْآخَرُ إِلَى الشَّمَالِ .

وَرَأَى زُعَمَاءُ الْمُتَحَارِبِينَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قُبَيْلَ الرَّخْفِ . وَدَارَتْ بَيْنَ « أَنْطُونِيُوسَ » وَ « كُنْيَا » مُلَاحَاةٌ (مُشَامَتَةٌ) صَاحِبَةٌ : ثُمَّ قَالَ « أَنْطُونِيُوسَ » :

« لَيْسَ لَنَا بُدٌّ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكُمْ ، بَعْدَ أَنْ عَدَرْتُمْ بِ « قَيْصَرَ » الْعَظِيمِ ، وَقَتَلْتُمُوهُ غِيلَةً (مِنْ حَيْثُ لَا يَذَرِي) . وَقَدْ كُنْتُمْ - فِي حَيَاتِهِ - تَرْجُونَ (تَضْطَرُّونَ) ، وَتَسْأَلُونَ مَوَاطِيءَ نِعَالِهِ ،

وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَأْسِرَهُ بَعْدَ قَلِيلٍ .

فَاشْتَدَّ جَزَعُ « كُنْيَاس » ، وَحَسِبَ خَادِمَهُ مُتَّخِبًا مِمَّا فَاهُ
(نَطَقَ) بِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : « هَاكَ سِنِي - يَا غُلَامُ - فَاقْتُلْنِي بِهِ
قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ بِي « أَنْطَنِيُوسُ » ؛ فَإِنَّ الْحِمَامَ (الْمَوْتَ) خَيْرٌ
- عِنْدِي - مِنَ الْوُفُوعِ فِي أَسْرِ الْعَدُوِّ . وَلَمْ يَكُنْ « بِنْدَارُوسُ »
يُلَبِّي أَمْرَ سَيِّدِهِ مُضْطَرًّا ، حَتَّى قَدِمَ الْقَائِدُ « تِنْتِنِيُوسُ » يَجْعَلُ
أَنْبَاءَ النَّصْرِ ، لِيَرْفُهَا إِلَى « كُنْيَاس » . وَلَا تَسَلْ عَنْ جَزَعِ الْقَائِدِ
حِينَ رَأَى مَصْرَعَ صَاحِبِهِ ، فَقَدْ بَلَغَ حَدًّا لَا يُوصَفُ .

٤ - مَصْرَعُ « بَرُوتَس »

وَلَمْ يَكُنْ « بَرُوتَس » يَتَعَرَّفُ هَذَا النَّبَأَ الْهَائِلَ ، حَتَّى دَارَتْ
بِهِ الْأَرْضُ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِ السُّبُلُ ، وَاقْنَأَنَّ أَنَّ رُوحَ « قَبِصَر »
الْعَظِيمِ قَدْ انْتَصَرَتْ عَلَيْهِمْ بِقُوَّتِهَا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَسَمِعَ جُنْدَهُ يَتَوَاصَوْنَ
بِالْفِرَارِ ؛ فَتَحَطَّمَتْ آمَالُهُ ، وَشَعَرَ بِعَجْزِهِ عَنْ مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِ ،
وَرَأَى خِذْلَانَهُ ؛ فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ الْمَوْتِ مُنْقِذًا مِنَ الْوُزْطَةِ ،
وَمُخْلَصًا مِنَ الْمَأْرِقِ .

« بَرُوتَس » عَلَى خَصْمِهِ « أَنْطَنِيُوس » ، وَأَجْلَاهُ عَنْ مَوْقِعِهِ ، وَانْتَصَرَ
عَلَيْهِ انْتِصَارًا بَاهِرًا .

٣ - مَصْرَعُ « كُنْيَاس »

وَقَدْ كَانَ أَحْبَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَصْرِفَ جُهْدَهُ إِلَى مُهَاجِمَةِ « أَنْطَنِيُوس » ،
بَعْدَ أَنْ تَمَّ لَهُ النَّصْرُ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَكِنْ « بَرُوتَس » لَمْ يَفْعَلْ ،
وَأَبَى إِلَّا أَنْ يُنْكَلَّ بِخَصْمِهِ ، وَيَحْرَقَ خِيَامَهُ ، وَيُخْرِبَ سُورَاتِهِ ،
وَيَمْزِقَ أَعْلَامَهُ وَرَايَاتِهِ .

وَنَظَرَ « كُنْيَاس » ، فَرَأَى النَّارَ تَشْتَعِلُ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ، فَلَمْ
يَذَرِ مَكَانَهَا ، عَلَى التَّحْقِيقِ . وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ خَصْمُهُ « أَنْطَنِيُوسُ »
قَدْ أَشْعَلَ النَّارَ فِي خِيَامِهِ - بَعْدَ أَنْ تَمَّ لَهُ النَّصْرُ - فَأَرْسَلَ
قَائِدَهُ « تِنْتِنِيُوسَ » ، لِيَتَعَرَّفَ جَلِيَّةَ الْأَمْرِ . وَمَا ذَهَبَ « تِنْتِنِيُوسُ »
حَتَّى قَدِمَ خَادِمُ « كُنْيَاس » عَابِسَ الْوَجْهِ ، كَالِحَ اللَّوْنِ ؛
فَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ أَنَّ « أَنْطَنِيُوسَ » قَدْ تَمَّ لَهُ النَّصْرُ عَلَى جَيْشِهِ ،

وَلَا حَاسِدًا ، وَلَكِنْ « كَثْيُوسَ » الْأَنْبِيَّ هُوَ الَّذِي رَزَقَ لَكَ هَذِهِ
الْفَعْلَةَ الشَّعَاءَ ، وَأَدْخَلَ فِي رُوعِكَ (قَلْبِكَ) ، أَنْ مَصْلَحَةَ بِلَادِكَ ،



وَحَبَرَ وَطَنِكَ ، يَحْتِمَانِ عَلَيْكَ أُغْتِيَالِ « قَيْصَرِ » : فَأُودِيَ (مَاتَ)
مُبَكِّيًا ، وَأُودِيَتْ مَأْسُوفًا عَلَيْكَ ا

ثُمَّ حَمَّ رِثَاءَهُ الْبَلِيعَ قَائِلًا :

« إِنْ يَخْدَعِ الْأَشْرَارُ أَنْبَلَ مَنْ وَفَى ،
أَوْ يَقْتُلِ الْأَشْرَارُ « قَيْصَرَ رُومَةٍ »

وَأَبْرَ مَنْ عَادَى ، وَأَكْرَمَ مَنْ مَجَدَّ
بَغِيًّا ، وَقَدْ أَضَيَّ قُلُوبَهُمُ الْكَمَدُ

وَرَأَى « أَنْطُونْيُوسَ » وَصَاحِبَهُ « أُكْتَنْيُوسَ » يَقْتَرِبَانِ مِنْهُ ،
فَقَالَ : « الْآنَ لَا خَيْرَ لِي فِي الْحَيَاةِ . فَوَدَاعًا أَبْنَاهَا الْأَصْدِقَاءُ ، فَإِنِّي
فَاتِلٌ نَفْسِي بِالسَّيْفِ الَّذِي أَعْمَدْتُهُ فِي صَدْرِ « قَيْصَرِ » ! ... »
ثُمَّ قَالَ : « لِنَهْدِ رُوحَكَ السَّاحِطَةَ - يَا « قَيْصَرُ » - فَإِنِّي
مُنْتَقِمٌ لَكَ مِنْ نَفْسِي ! »

وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا خَيْرُ كَلِمَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ ، حَتَّى سَدَّدَ سَيْفَهُ إِلَى
قَلْبِهِ : فَخَرَّ صَرِيحًا عَلَى الْأَرْضِ ، وَفَاضَتْ رُوحُهُ .

٥ - مَرَثِيَّةُ « أَنْطُونْيُوسَ »

وَلَمَّا قَدِمَ « أَنْطُونْيُوسُ » وَ « أُكْتَنْيُوسُ » رَأْيَاهُ جُثَّةً هَامِدَةً ؛
فَجَزَعَا لِمَصْرَعِهِ ، وَأَضْنَاهُمَا الْحُزْنُ وَالْكَمَدُ .
وَرَنَاهُ « أَنْطُونْيُوسُ » قَائِلًا :

« لَقَدْ كُنْتَ أَنْبَلَ رُومَانِي ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّكَ مَا قَتَلْتَ « قَيْصَرَ »
عَنْ حِقْدٍ وَكَرَاهِيَةٍ وَجُحُودٍ (إِنكَارٍ لِلْفَضْلِ) ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ الدِّينِيَّةَ
(الْفَعْلَةَ الْخَصِيْرَةَ) ، وَلَمْ تَكُنْ فِي شِمَائِلِكَ (أَخْلَاقِكَ) عَادِرًا

فَمِصَابَةُ الشَّيْطَانِ الْأُمُّ عَصْبَةٌ
إِلَّا «بُرُوتَس» وَحْدَهُ - مِنْ بَيْنِهِمْ -
كَانُوا جَمِيعًا - مَا خَلَاهُ - حُصْدًا ،
قَدْ سَجَلَتْ - بِجُودِهَا - عَارَ الْأَبَدِ
إِنَّا عَرَفْنَا نُبْلَهُ فِيمَا قَصَدُ
ذَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَأَشَقَّاهَا الْحَسَدُ

حَيُّوا «بُرُوتَس» ، وَاهْتَفُوا بِخِلَالِهِ
فَلْيُثَبِّتَنَّ الدَّهْرُ - مِنْ آيَاتِهِ -
وَيَقُولُ: كَانَ «بُرُوتَس» رَجُلًا ، وَمَا
وَيَقُولُ: أَوْدَى فَخْرُ «رُومَةَ» كُلِّهَا
حَيًّا ، وَحَيُّوا جِسْمَهُ لَمَّا هَمَدَ
سَطْرًا ، إِذَا مُحِيتْ صَحَائِفُنَا خَلَدَ
عَرَفَ الدَّيَّةَ - فِي شَمَائِلِهِ - أَحَدُ
وَأَجَلُ ذِي فَضْلٍ تَسَامَى وَاتْفَرَّدَ .

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٥٦٩٤
التسجيل الدولي	ISBN 977 - 02 - 3380 - 3

١ / ٩١ / ٢٠١

طبع بمطبع دار المعارف (ج.م.ع.)